﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

( سورة البقرة )

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
تلمسان الجزائر
كلية الآداب و اللغات- قسم اللغة و الأدب العربي

# ابن سلام وفكرة الطبقات

## ( مقاربة في المنهج وتوثيق النصوص )

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

تخصص : النقد العربي القديم

إعداد الطالب :
مصطفاوي محمد

إشراف الدكتور :
كريب رمضان

أعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| أ. د . طول محمد | أستاذ التعليم العالي ( جامعة تلمسان ) | رئيسا |
| د . كريب رمضان | أستاذ التعليم العالي ( جامعة تلمسان) | مشرفا |
| أ . د . العرابي لخضر | أستاذ التعليم العالي (جامعة تلمسان) | عضوا |
| أ. د . باقي محمد | أستاذ التعليم العالي (جامعةسيدي بلعباس ) | عضوا |
| د . بلي عبد القادر | أستاذ التعليم العالي (جامعة عين تيموشنت ) | عضوا |
| د . بن عامر سعيد | أستاذ التعليم العالي ( المركز الجامعي- مغنية) | عضوا |

السنة الجامعية :2019- 2020 م

# إهداء

إلى والديّ- تغمّدهما الله برحمته ، وأدخلهما بسلام ، فسيح جنانه -

إلى أبنائي وأمّ أبنائي ،إلى أساتذتي وأصدقائي وزملائي ،أهدي هذا العمل .

« وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ صَاحِبُ عَقْلٍ ، كُنْتُ أُهْدِي إِلَى الزَّمَانِ عِتَابِي »

# شكر وتقدير

أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى جامعة أبي بكر بلقايد ، بتلمسان ، ممثلة في كلية الآداب واللغات [ قسم اللغة والأدب العربي ] ، التي أتاحت لي فرصة الانتماء إليها لإتمام دراستي العليا .

وأخص بالشكر الدكتور كريب رمضان ، المشرف الأول على هذه الرسالة .

كما أشكر الدكاترة الأفاضل ، أعضاء لجنة المناقشة على ما سيبذلون من جهد في تقويم هذه الرسالة ، وما سيسدون من نصائح وإرشادات .

# مقدمة

أحمد الله حمدا كثيرا،وأصلّي وأسلّم على أنبيائه ورسله،وعلى خاتمهم سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان ، إلى يوم الدين.

أمّا بعد :

غنيّ عن البيان أنّ فكرة الطبقات مصطلح شائع ، في النقد الأدبي عند العرب ، قديما وحديثا . وتكتسي هذه الفكرة ، من حيث بواعثها وآثارها ، أهمية خاصة في تقدير الإبداع الشعري ، وإنزال الشعراء المنزلة التي يستحقّونها ، وفق معايير فنية ، تتباين بتباين العصور . فهي تكشف النقاب عما ينطوي عليه النتاج الشعري من أسس وخصائص ، كانت - بطريقة أو بأخرى - عاملا له شأنه في إبراز جمالية الفن الشعري ، وبيان مستويات التفوق فيه .

هو صحيح أنّ كتب النقد العامة ، قد تطرقت إلى ملامح هذه الفكرة ، ضمن بحوثها في قضايا النقد الأدبي ، على غرار ما فعل الدكتور رجاء عيد ، في كتابه ' التراث النقدي'، الصادر عن منشأة المعارف بالإسكندرية ؛ وكذا الدكتور جهاد المجالي ، في كتابه الموسوم بـ ' طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ، حتى نهاية القرن الثالث الهجري ' والصادر عن مكتبة الرائد العلمية بعمان .

أهمية هذين الكتابين لا تنكر ، وهما يتناسبان ومنحى البحث الذي أراده المؤلّفان . بيد أنّهما - على أهميتهما - يبدوان ضعيفي الصلة بموضوعنا ، حيث إنّ الأول يعالج فكرة الطبقات بوصفها جزءا من دراسات نقدية عامة ، دون أن يخص بها مؤلّفا بعينه . بينما يعالج الثاني فكرة الطبقات بوصفها كلاّ متكاملا مستقلاّ بذاته . ومن ثم كانت الإفادة منهما محدودة ، بالنسبة إلى موضوعنا .

ولعلّ أقرب المراجع إلى موضوع هذه الرسالة ، هو كتاب الدكتور منير سلطان الموسوم بـ ' ابن سلاّم وطبقات الشعراء"، الذي صدر عن منشأة المعارف بالإسكندرية أيضا . ولقد انتفعت بالمعلومات التي تضمنها الكتاب ، بما يتناسب وطبيعة الخطة التي وضعتها لبحثي .

وقد حملني على خوض غمار الكتابة في هذا الموضوع أمران : أحدهما اهتمامي الشخصي بالموضوع ، والآخر اعتقادي أنّ هذه الدراسة ، من شأنها أن تلقي الضوء على تطور الفكر النقدي عند ابن سلام الجمحي ، من خلال مواقفه من القضايا النقدية التي أثارها في 'طبقاته '، فضلا عن أنّ الدراسات الأكاديمية المستقلة عن فكرة الطبقات عند ابن سلام الجمحي ، تعدّ على الأصابع . ومن ثمّ ، أقدمت على البحث في هذا الموضوع ، مستعينا بالمنهج الوصفي التحليلي ، في تعقب فكرة الطبقات عند ابن سلاّم الجمحيّ ، وطريقة تناوله الموضوع في زمن مبكر . وفكرة الطبقات عند ابن سلاّم ، تطرح إشكالية في غاية الأهمية : إذ صنف الشعراء في طبقات معدودة ، معتمدا في ذلك مقاييس محددة . فهل يعني ذلك أنه فرض هذه المقاييس على الشاعر مسبقا ، بحيث تكون قوالب ثابتة ، على الشاعر الالتزام بها إذا أراد التفوق ، أو عمد (ابن سلاّم) إلى النظر في النتاج الشعري وفحصه ، فهداه الفحص والنظر إلى استنباط هذه المقاييس من النص الشعري نفسه ؟ وما مفهوم التشابه الذي جمع على أساسه شعراء الطبقة الواحدة ؟ ولماذا لم يفرد الشعراء المخضرمين بطبقة مستقلة ، كما صنع مع غيرهم ؟

ولعلّ الإجابة المناسبة عن هذه الأسئلة ، تمهد لنا السبيل للوصول إلى الهدف المنشود من البحث ، وهو الوقوف على النضج المبكر للتفكير النقدي عند العرب ، ممثلا في كتاب 'طبقات فحول الشعراء '، لمحمد بن سلاّم الجمحيّ ، وإبراز المنهج العلمي المتميز ، الذي اعتمده في ' طبقاته '، وصنف وفقه ، الشعراء الذين اختارهم عيّنة لبحثه ، في طبقات يفضل بعضها بعضا تبعا لمقاييس نقدية محددة .

وتشتمل الخطة التي أملتها طبيعة البحث، على مقدمة ، ومدخل ، وأربعة فصول وخاتمة ، وهي موزعة على النحو الآتي :

- مقدمة : عرضت فيها للدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع ، وطرحت إشكالية البحث ثمّ بينت الهدف المنشود من هذه الرسالة ، مع الإشارة إلى أهم الدراسات التي تناولت الموضوع ، من قريب أو بعيد .

- مدخل : الحراك النقدي قبل محمد بن سلام الجمحي : عرضت فيه للحراك النقدي قبل ابن سلاّم الجمحي ، بدءا من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي .

- الفصل الأول : محمد بن سلاّم الجمحي : ويشمل الحديث عن ملامح العصر الذي قدّر لابن سلاّم أن يعيش فيه ، ويكون شاهدا عليه ، بما في ذلك مناحي الحياة السياسية ، ومناحي الحياة الاجتماعية ، ومناحي الحياة الفكرية . كما قدّمت نبذة عن حياة ابن سلاّم ، وما حفلت به من نشاط علمي ، كان له صدى حسن ، في معاصريه ، وفي الأجيال اللاحقة .

- الفصل الثاني : كتاب 'طبقات فحول الشعراء ' : حيث عرضت فيه للحديث عن مفهوم الطبقات في أصل الوضع اللغوي ، ودلالات هذا اللفظ في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف ، وفي الشعر العربي القديم ، وأتبعت ذلك بالحديث عن الطبقات ، من حيث الاصطلاح لدى النقاد ، وعلاقة هذا المصطلح بالطبقات عند علماء الحديث . وكان لزاما عليّ ، بعد ذلك ، أن أعرّج على عنوان كتاب ابن سلاّم ، وما أثير حوله من جدل ، وأعرض لطبعات الكتاب المختلفة ، ثم ختمت هذا الفصل بتقييم الكتاب وبيان قيمته النقدية .

- الفصل الثالث : المنهج النقدي لابن سلام في ' الطبقات ' : ويتناول الطريقة المميّزة التي سلكها ابن سلاّم في تأليف كتابه ، وأسلوبه في معالجة القضايا النقدية التي أثارها ، والأسس التي ارتكز عليها في تقسيمه الطبقي للشعراء ، والمقاييس التي اعتمدها في تصنيفهم في طبقات يفضل بعضها بعضا .

- الفصل الرابع : اتجاه ابن سلاّم في النقد : وتناولت فيه نزعة ابن سلاّم إلى تناول القضايا النقدية ، تناولا حرص فيه على الشمول والتنوع ، بحيث لا يكتفي ببحث

القضية من جانب واحد ، بل يطال نقده القضية موضع البحث ، على مستويات عدة .

- الخاتمة : وقد ضمنتها تلخيصا لأهم النتائج التي أدّى إليها البحث .

وختاما ، أحمد الله عزّ وجلّ ، على أن يسّر لي إتمام هذه الرسالة ، فإن أصبت ، فذاك من فضل الله ، وإن أخطأت ، فلعلّ ما يشفع لي ، هو بذل الجهد ، وحسن النية ، وسلامة القصد . والله المستعان ، وبه وحده التوفيق .

مصطفاوي محمد

صبرة في : 26- 09 – 2018

# مدخل : الحراك النقدي قبل محمد بن سلاّم .

أ - النقد الأدبي في العصر الجاهلي .

ب - النقد الأدبي في صدر الإسلام .

ج - النقد الأدبي في العصر الأموي .

**أ - النقد الأدبي في العصر الجاهلي :**

لقد أجمع السواد الأعظم ، من مؤرخي الأدب العربي ، على أنّ المراد بالشعر الجاهلي ، هو جملة الأشعار التي قيلت في تلك الحقبة التاريخية ، التي عاشها العرب قبل ظهور الإسلام بقرنين ، على أكثر تقدير . يقول الجاحظ : " وأمّا الشعر، فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه : امرؤ القيس بن حُجْر، ومهلهل بن ربيعة..... فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار ، فمائتي عام "[1] .

ولم يصلنا من هذه الحقبة ، إلا تلك القصائد ، في صورتها الناضجة فنيا ، وهي غيض من فيض ، بالقياس إلى الأشعار التي لم تصلنا . قال أبو عمرو بن العلاء : " ما انتهى إليكم ، مما قالت العرب ، إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافرا ، لجاءكم علم وشعر كثير "[2] .

فضياع معظم الشعر ، في هذه الحقبة ، ووصول بعضه إلينا في صورة قصائد مكتملة البناء ، يضفي نوعا من الغموض على المراحل المبكرة التي مرّ بها الشعر الجاهلي ، ويبقيها في طي المجهول ، بحيث إنّ كل ما يذهب إليه الباحثون ، بصدد نشأة الشعر، ومحاولة تحديد أوليته ، يبقى مجرّد اجتهاد شخصي ، لا يرقى إلى مستوى القطع والجزم .

من هنا ، فإنّ موضوع البحوث الأدبية والنقدية ، إنّما هو المادة التي في حوزتنا من آثار أدبية ، وبخاصة النتاج الشعري ، " .. وإذا كان الناقد الأول ، قد ظهر إلى

---

[1]- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط 2 - 1965 م ، 1/ 74.

[2]- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، 1 / 25 .

الوجود، بعد الشاعر الأول ، وإذا كانت أوليات الشعر العربي ، غير معروفة لنا ، فإنّ أوليات النقد الأدبي ، تبعا لذلك ، قد غابت عنا "[1].

وحتى ما بلغنا منها ، مواكبا شعر هذه الحقبة ، لا يصدق عليه مصطلح النقد بالمفهوم الدقيق ، أي : بوصفه لونا أدبيا ، له ضوابطه، وقوانينه الخاصة في تقدير الآثار الأدبية وبيان قيمتها ودرجتها، انطلاقا من تفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها .

ولما كان هذا النوع من النقد،يفتقر إلى قواعد فنية يبنى عليها، وذوق منظم يحتكم إليه ، فكل ما يمكن أن يقال فيه هو أنه مجرد تفاعل عفوي مع النص الشعري ليس إلا.. . لذلك يتحرز كثير من الباحثين - توخيا منهم للدقة - أن يخلعوا عليه صفة النقد إلا تجاوزا ، اقتناعا منهم بأنه مجرد " ملاحظات على الشعر والشعراء ، قوامها الذوق الطبيعي الساذج "[2]، أو" ذوق نقدي غير مسبب يقف عند الجزئيات ويقفز إلى تعميمات خاطئة، تجعل من شاعر أشعر الناس لبيت قاله"[3].

بعد هذا العرض الوجيز،يمكن إجمال طبيعة النقد الأدبي ، في العصر الجاهلي ، في الآتي :

**1- هيمنة الذوق الفطري :**

الذوق ، في أصل الوضع اللغوي ، هو تعرف الطعم ، وهو عبارة عن " قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان ، من شأنها إدراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملموسة ، وهي : الحرارة والبرودة واليبوسة ."[4]

وقد يتّسع معناه ، فيطلق مجازا ، على كل تجربة في الحياة ، كقول المتنبي :

---

[1] - تاريخ النقد الأدبي عند العرب : د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط 3 - 1974 م ، ص 20 .

[2] - أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 10 - 1994 م ، ص 109 .

[3] - النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2004 م ، ص 11 .

[4] - الكليات : أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي ، اعتناء د . عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط 2- 1998 م ، ص 462 .

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ، فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُهُمُ ، وَذَاقَا[1] .

أمّا من حيث الاصطلاح ، فيراد به القدرة على الحكم على شيء ما ، حكما صائبا ، لإظهار محاسنه ولطائفه الخفية على الإنسان العادي، ويكون هذا الشيء - في الغالب الأعم - عملا فنيا ، فيقوّم من وجهة نظر جمالية محض ."[2]

يقول أناتول فرانس ( Anatole France )، في هذا الصدد، " إنّ اللذة التي يعطيها الأثر، هي المقياس الوحيد لقيمته ."[3]

تركز هذه المقولة على المتعة الجمالية للعمل الفني، وتعدّها جوهريّة لتجارب القارئ وفق ذوقه الفطري الخاص، وحسه المرهف بالجمال،وذوقه الفني الأصيل . فعلى قدر عمق إحساسه به ، تكون قوة نقده ، فلا قيمة لإلمامه بالقواعد وتعريفات الجمال ، والأسس الذهنية العامة ، إذ القيمة ، كل القيمة لرهف المزاج الفني واستحسان المتلقي يقول الجاحظ : ".. ولكن اعرضه ( يعني الأدب ) على العلماء في عرض رسائل ، أو أشعار، أو خطب ، فإن رأيت الأسماع تصغي إليه، والعيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ، فانتحله ."[4]

ومفهوم الذوق عند ابن خلدون ، لا يختلف كثيرا ، عن هذا المفهوم ، إذ هو عنده : " حصول ملكة البلاغة للسان "[5] وهذه الملكة ، بنظر ابن خلدون ، إنما تحصل بممارسة كلام العرب ، وتكريره على السمع ، والتفطن لخواص تركيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك، التي استنبطها أهل علم اللسان ، فإنّ

---

[1]-ديوان أبي الطيب المتنبي : تحقيق د. عبد المنعم خفاجي/سعيد جودة السحار/د. عبد العزيز شرف،مكتبة مصر ، الفجالة ، ص 219 .

[2]- New Dictionary Of The History Of Ideas : Maryanne Cline Horowitz , Thomson Gale , 6 / 229

[3]- النقد الأدبي : كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، مراجعة جورج سالم ، منشورات دار عويدات ، بيروت - باريس ، ط 2 - 1984 م ، ص 71 .

[4]- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 7 - 1998 م ، 1 / 203.

[5]- مقدمة ابن خلدون : العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان ، ص 640.

هذه القوانين ، إنما تفيد علما بذلك اللسان ، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها ."[1]

فالناقد في الجاهلية ، لا شأن له بالضوابط والقوانين العلمية ، التي تبرر مايصدره من أحكام نقدية . وإنما عمدة الأحكام النقدية عنده ، هي الإحساس القائم على الذوق الفطري الذي يتيح له أن يميز بين جيد الشعر ورديئه فيأتي حكمه النقدي في غاية النضج الفني . " فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا، والعربي يحس أثر الشعر إحساسا فطريا ، لا تعقيد فيه ، ويتذوقه جبلّة وطبعا ، وعماده في الحكم على ذوقه وسليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول ، وإلى المبرّز من الشعراء "[2].

فمن الطبيعي إذن ، أن تكون الأحكام التي يصدرها الناقد، انعكاسا لروحه البدوية الساذجة ، بحيث لا تعدو أن تكون إحساسا خالصا ، ولم تستطع أن تصبح معرفة تصح لدى الغير، بفضل ما تستند إليه من تعليل[3]

**2- غياب المنهج الواضح :**

لم يكلف الناقد ، في الجاهلية وصدر الإسلام ، نفسه عناء التقيّد بمنهج واضح لسبب بسيط ، هو أنّ فكرة المنهج نفسها لم تكن موجودة أصلا ، والروح العلمية ، بما تتطلبه من شروط الفكر التحليلي ، والاستقصاء في البحث ، كانت غير موجودة في حياته .

**3- الذريّة :**

والمقصود بها هنا ، نزوع الناقد إلى تجزئة القضية ، موضع النقد ، ذرّة ذرّة، واكتفاؤه بالوقوف عند الجزئيات لا يعدوها ، فيرسل أحكاما جزئية ، تعوزها النظرة

---

[1]- مقدمة ابن خلدون ، ص 641 .

[2]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ( من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ) : المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم ، هيئة الفيصلية - مكة المكرمة ، ط 2004 م مزيدة ومنقحة ، ص 31 .

[3]- ينظر النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ، ص 17 .

الشمولية إلى الأشياء، ويغلب عليها طابع التعميم في الحكم ، ومن ثم ، " يجعل من شاعر أشعر الناس ، لبيت أو أبيات ، أو قصيدة واحدة قالها "[1] .

وقد كثرت هذه النماذج ، من العبارات الناطقة بالحكم النقدي على ألسنة النقاد، في هذا العصر، حين يعجب الناقد منهم بالشعر ، ويتأثر تأثرا آنيا بحسنه وجماله، ودقة معانيه . من ذلك قول النابغة لقيس بن الخطيم ، حين أنشده قوله :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِّرَادِ المَذَاهِبِ، لِعَمْرَةَ وَحْشًا، غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ ؟

" أنت أشعر الناس ، يا بن أخي " . وقيل إنّ النابغة ، ما إن سمع الشطر الأول من القصيدة، [ أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِّرَادِ المَذَاهِبِ ] ، حتى قال له : " أنت أشعر الناس"[2].

وقوله للخنساء : " لولا أنّ أبا بصير [ يعني الأعشى ] أنشدني آنفا ، لقلت إنّك أشعر الجنّ والإنس " ، وذلك حين أنشدته قولها :

[ وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ، كَأَنَّهُ عَلَمٌ ، فِي رَأْسِهِ نَارُ ][3]

وقد لاحظ بعض المستشرقين ، وعلى رأسهم جِبْ (Gibb)أنّ العرب لا ينظرون إلى الأشياء ، نظرة عامة شاملة ، بحكم تكوينهم الفكري .[4]

مما يعني أنّ الذرية صفة ملازمة لطبيعة تفكيرهم النقدي . إلا أنّ هذا الرأي- بقصد أو بغير قصد - يشتمّ منه نوع من التعصب العرقي الضيق .

لذلك لايسلم به المستشرقون المنصفون ، وكثير من المفكرين العرب .

فقد أشار مالك بن نبي ، في ردّه على المستشرق الإنجليزي ، المذكور آنفا ، بقوله :

" فأنا لا أعتقد أنّ صفة الذرية - تلك اللازمة من لوازم العقل العاجز عن التعميم - خاصة فطرية ، من خواص الفكر العربي ، على ما أكّده الإنجليزي المحترم ، بل هي

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : عبد العزيز عتيق ، ص 21 .

[2]- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق د. إحسان عباس / د. إبراهيم السعافين / أ. بكر عباس، دار صادر- بيروت، ط 3 - 2008 م ، 3 / 10.

[3]- المصدر نفسه : 9 / 252 .

[4]-ينظر : Modern Trends Of Islam :Hamilton Alexander Gibb,University Of Chicago Press , second edition , 1947, p78

طراز من طراز العقل الإنساني بعامة ، عندما يقصر عن بلوغ درجة معينة من التطور والنضج"[1]

**4- الانطباعية :**

تعدّ الانطباعية من أكثر الكلمات تداولا في الكتابات والمناقشات النقدية، ومع ذلك فتحديدها ليس بنار إبراهيم . لكن ، لنقل : إنّ كلمة [ انطباعية ] ، تعني في صورتها المبسطة ، ذلك التواصل المباشر بين الشاعر والمتلقي، وما يتولد في نفس المتلقي - نتيجة هذا التواصل- من جمالية أو انفعالات عاطفية[2].

ولا حاجة بنا إلى القول بأنّ محور الانطباعية ، في العصر الجاهلي ، هو ذات المتلقي أو ذات الناقد ، الذي يعتمد الذوق الجمالي ، أساسا لتحديد التأثر والانطباع الذي يتركه في نفسه هذا البيت ، أو تلك القصيدة .

من ذلك ، على سبيل المثال ، ما روي من" أنّ النابغة الذبياني ، نظر إلى لبيد بن ربيعة ، وهو صبي مع أعمامه ، على باب النعمان بن المنذر ، وسأل عنه ، فنسب له، فقال : يا غلام ، إنّ عينيك لعينا شاعر،أ فتقرض من الشعر شيئا؟فقال: نعم، يا عم . قال : فأنشدني شيئا مما قلته ، فأنشده قوله : [ أَلَمْ تُلْمِمْ عَلَى الدِّمَنِ الخَوَالِي] ، فقال له : يا غلام ، أنت أشعر بني عامر . زدني ، يا بنيّ ، فأنشده : [طَلَلٌ لِخَوْلَةَ ، بِالرُّسَيْنِ قَدِيمُ ] ، فضرب بيديه على جنبيه ، وقال : اذهب ، فأنت أشعر قيس كلّها .[3]

**5- الأنية :**

فالنابغة يجعل من لبيد أشعر بني عامر على الإطلاق ، نتيجة تأثره بالقصيدة الأولى ، التي أنشده إياها ، ويبلغ تأثره أوجه لدى سماعه القصيدة الثانية ، فيجعله أشعر قيس كلها .

---

[1]- وجهة العالم الإسلامي: أ. مالك بن نبي ،ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر- دمشق ، ط 2- 2002 م ، ص 15 .

[2]- ينظر النقد الأدبي : كارلوني وفيللو، ص67 .

[3]- الأغاني :الأصفهاني ، 15 / 257 .

قد يعجب الناقد بما يسمع من شعر ، فينساق وراء عفو خاطره ، للتعبير عن إعجابه ، بإرسال أحكام عامة مطلقة هي تعبير عن " افتتان آنيّ بالشعر : افتتان يستبدّ بالنفس، في اللحظة التي هي فيها . "[1] لذلك ، من السهل أن نلاحظ أنّ هنات هذه الأحكام النقدية ، تطفو على السطح بمجرد انتهاء لحظة التأثر .

**6- غياب التعليل المفصل :**

الغرض من التعليل إيضاح الأحكام النقدية ، وتبرير نتائجها ، وذكر الأسباب التي تبيح هذه الأحكام ، وتسوغها فنيا ، ومنطقيا ، وأخلاقيا حتى .. وهو سمة من سمات العقل البشري ، حين يبلغ في تطوره مستوى معينا من الرقي الحضاري، والنضج الفكري . لذلك يعتقد بعض الباحثين أنّ التعليل شرط لازم للناقد إذا ما أراد أن تكون أحكامه النقدية مقنعة . " .. وإنّني على عقيدة راسخة بأنّه لا نقد، إلاّ إن كان الناقد على استعداد لتعليل رأيه . فإن قال : هذا حسن، وذلك رديء، كانت عليه البينة، فلماذا كان الحسن حسنا، والرديء رديئا ؟ "[2] فهذا الرأي - على وجاهته - ليس من الضروري التسليم به على علاته، لأنه، وإن صدق على الناقد الذي قُدّر له أن يعيش في بيئة، لها حظّ وافر من مظاهر التقدم الأدبي والعلمي، فإنّه لا يصدق على عرب الجاهلية مثلا ، لأنهم - بتعبير ابن خلدون "أعرق في البدو،وأبعد عن العمران الحضري ، وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها"[3].فهم ما زالوا يعيشون في طور،يتصف بالبساطة ، في جميع مناحي حياتهم،فمن الطبيعي أن تكون ملاحظاتهم النقدية " مبنية على الذوق والفطرة ، التي تتأثر بما تسمع من قول، فتصدر الحكم عليه غير معلل ، أو غير مشفوع بحيثياته ."[4]

---

[1]- التفكير النقدي عند العرب : د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق - سورية ، ط 1 - 1997 م ، ص 33 .

[2]- في فلسفة النقد : د. زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، ط 2 - 1983 م ، ص 221 .

[3]- مقدمة ابن خلدون : ص 440 .

[4]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : عبد العزيز عتيق ، ص 34 .

من ذلك، ما يروى من أنّ علقمة بن عبدة أنشد عمرو بن الحارث الغساني قصيدته التي مطلعها :

[ طَحَا بِك قَلْبٌ فِي الحِسَانِ ، طَرُوبُ ، بُعَيْدَ الشَّبَابِ ، عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ ]

وأنشده النابغة قصيدته التي مطلعها :

[ كِلِيني لِهَمّ ، يَا أُمَيْمَةُ ، نَاصِبِ ، وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ ، بَطِيءِ الكَوَاكِبِ .]

وأنشده حسان قصيدته التي مطلعها :

[ أَسَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ، أَمْ لَمْ تَسْأَلِ ، بَيْنَ الجَوَابِي ، فَالبُضَيْعِ ، فَحَوْمَلِ ؟ ]

ففضل حسانا عليهما ، ودعا قصيدته ( البتارة )، لأنها بترت غيرها من القصائد .[1]

فعمرو بن الحارث هنا، هو مثال الناقد المتخصص ، المشهود له بسلامة الذوق، وسداد الأحكام النقدية، فبتقليله من شأن قصيدتي علقمة والنابغة، بالقياس إلى قصيدة حسان ، يكون قد جسّد حسّه بالجمال تجاه قصيدة حسان .

**7- الإيجاز :**

غالبا ما تكون الأحكام النقدية ، في العصر الجاهلي ، في غاية الإيجاز. كملاحظة طرفة بن العبد ، عندما سمع قول المتلمس ، أو المسيب بن علس، في وصف جمل :

[ وَإِنِّي لَأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ اِحْتِضَارِهِ ، بِنَاجٍ ، عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ ، مِكْدَمِ ]

فعلّق عليه بقولته المشهورة، التي جرت مجرى المثل : "استنوق الجمل ،"[2] وهي، كما نرى ، لا تزيد على جملة واحدة .

وقد يكون الحكم النقدي واقعا في جملتين موجزتين أو أكثر ، كانتقاد النابغة بيتي حسان ، حين أنشده قوله ، مفتخرا :

لَنَا الجَفنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ ، مِنْ نَجْدَةٍ ، دَمًا

---

[1]- الأغاني : الأصفهاني ، 15 / 109.

[2]- ينظر لسان العرب : الإمام العلاّمة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر- بيروت ، 10/ 363 .

وَلَدْنَا بَنِي العَنْقَاءِ وَابْنَيْ مُحَرِّقٍ ، فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاً ، وَأَكْرِمْ بِنَا اِبْنَما

فقال له النابغة : أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفتخر بمن ولدك .[1]

وكاحتكام علقمة بن عبدة وامرئ القيس إلى امرأته أم جندب ، في أيّهما أشعر، فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل، على رويّ واحد، وقافية واحدة . فقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ، مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ، لِنَقْضِيَ حَاجَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ .

حتى بلغ قوله :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ، وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ ، وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ ، أَخْرَجَ مُهْذِبِ

وأنشدها علقمة قوله :

ذَهَبْتَ ، مِنَ الهِجْرَانِ ، فِي غَيْرِ مَذْهَبِ ، وَلَمْ يَكُ حَقًّا ، كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ !

حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَهُ حَتَّى ثَنَى مِنْ عِنَانِهِ ، يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبِ .

وبعد سماعها القصيدتين ، قالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك . قال : وكيف ذاك ؟ قالت لأنك قلت :

فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ، وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ ، وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ ، أَخْرَجَ مُهْذِبِ .

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك، وقال علقمة :

فَأَدْرَكَهُ حَتَّى ثَنَى مِنْ عِنَانِهِ ، يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبِ .

فأدرك طريدته ، وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ، ولا زجره .[2] قال : ما هو بأشعر مني ، ولكنك له وامق ، فطلقها ، فخلف عليها علقمة،

---

[1]- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1995 م ، ص 76 .

[2]- ينظر الأغاني : الأصفهاني ، 21 / 143.

فسمي بذلك الفحل .[1]

وخلاصة القول أنّ النقد في العصر الجاهلي ، يمثل مرحلة متقدمة ، من تاريخ النقد الأدبي عند العرب : مرحلة أملتها طبيعة ظروفهم البيئية وطابعهم البدوي ، حيث إنّ أحكامهم النقدية ، ترجع أساسا ، إلى العاطفة والذوق الفطري ، ولم يكونوا مهيّئين عقليا ونفسيا للخوض في قضايا التحليل، وذكر العلل والأسباب لما يرسلونه من أحكام نقدية .

**ب - النقد الأدبي في صدر الإسلام :**

المراد بصدر الإسلام ، عصر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده أي : الفترة الزمنية الممتدة من ظهور الإسلام إلى قيام الدولة الأموية، سنة 41 هـ.[2]

وإذا كان الإسلام حدثا هائلا ، وانقلابا شاملا ، في مناحي الحياة الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية، فإنّ ما يهمنا هنا، هو تأثير هذا الانقلاب في النقد الأدبي .

ولعل أول ما يلاحظ، في هذا الصدد، هو أنّ نقد الشعر، والحكم له أو عليه، لم يكن في هذا العصر، مرتكزا على موقف جمالي، أساسه الإحساس الجمالي، أو الانفعال العاطفي، وإنما كان ينظر إليه من مبدأ موافقته للشرع ، أو مخالفته له. بمعنى أن المسألة ليست نقد الشعر بقدر ما هي اتخاذ موقف صريح منه، وشتان ما بين الأمرين .

لذلك، من الأنسب هنا ، النظر في موقف الإسلام من الشعر، وتحديدا موقف القرآن الكريم، وموقف الرسول، صلى الله عليه وسلم، وموقف الخلفاء الراشدين، من بعده .

---

[1]- ينظر الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، 1 / 219 .

[2]- ينظر حول الأدب الجاهلي وقضاياه : أ. د. شفيق عبد الرازق أبو سعدة، الجرسي للكمبيوتر- الطباعة- التصوير، ص 41.

**1- موقف القرآن الكريم :**

كان لا بد للقرآن الكريم أن يفصل في أمر الشعر والشعراء، ويحدد موقفه منهم بوضوح.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[1]

يمكن أن نستخلص من هذه الآيات ، جملة من الحقائق ، منها :

○- إقرار القرآن الكريم بشاعرية الشعراء ، بصرف النظر عن دياناتهم ، وأهوائهم، ومشاربهم ، فإشراك الشاعر وعدم إسلامه، ليس مدعاة لنفي الشاعرية عنه .

○- وفي الآيات أيضا، إشارة إلى طبيعة الشعر والشعراء ، فهناك صنفان من الشعر: أحدهما يجنح فيه الشاعر إلى الإفراط في الخيال، فيطلق العنان لشهواته، ويتخذ هواه مطية للافتراء على الله عزّ وجلّ، والإساءة إلى الإسلام والمسلمين، والتجني على الصدق والحق .

ويكتفي هذا النوع من الشعر، في تبرير وجوده، بالتعبير عن القيم الجمالية جاعلا منها هدفه الأسمى .

بمعنى أنّ اهتمامه ينصبّ ، في المقام الأول، على الشكل والأسلوب، على حساب تحري الحق . وهذا الصنف من الشعر، هو الذي شدد القرآن الكريم في النهي عن اتباعه لما ينطوي عليه من غواية وضلال .

○- في الاستثناء الوارد في هذه الآيات، دلالة واضحة على أنّ القرآن الكريم لم يقف من الشعر- من حيث هو شعر- موقفا عدائيا، إذ تتحدث الآيات عن شعراء مخصوصين ، لم يألوا جهدا في محاربة الله ورسوله ، عليه الصلاة والسلام، بكل ما أوتوا من قوة الفعل والقول، فهؤلاء هم المخصوصون بالذم ، في هذه الآيات . يقول

[1]- سورة الشعراء.

محمد قطب : " إنّ الآيات التي وجهت لشعراء العرب، في الجاهلية، لم توجه ضد الشعر في ذاته، ولا وجهت ضد الشعراء على إطلاقهم، وإنما ضد نوع معين من الشعراء ."[1]

والصنف الآخر: وهو مشروط بإيمان الشاعر، قلبا وقالبا ، برسالة الإسلام ووحيه، إيمانا يترجم على أرضية الواقع ، إلى صالح أعمال تعود بالخير والنفع على الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء ، وبالثبات على هذا الإيمان بكثرة الذكر، لكونه أداة ناجعة في الحفاظ على هذا الإيمان ، وجعله في تجدد مستمر .

كل ذلك، يتم وفق منهج ربّاني ثابت ، وقائم على صراط مستقيم ، غير متبدل ولا متقلب بتقلب الأحوال الطارئة وتبدلها، فهو اتصال دائم بالله جلّ وعلا وتلقّ مستمرّ عن وحيه تعالى . خلافا للشعر الذي لا يدوم على حال يكون بها، فهو يميل حيث مالت الأهواء ، ويتقلب حيث تقلبت الأحوال .

ومن ثمّ استحدثت للشاعر الإسلامي وظيفة جديدة سامية ، هي المنافحة عن الدين الجديد ، والردّ على شعراء المشركين ، الذين ناصبوا الدين الجديد العداء .

**2- موقف الرسول صلى الله عليه وسلم :**

تجدر الإشارة، من البدء، إلى أنّ الله، سبحانه وتعالى، نفى الشعر عن رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، إذقَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[2] وَقَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[3] ذلك لأنّ من الشعر ما يتنافى وطبيعة الرسالة والوحي الإلهي" فإنّ العرب كانت تظن بعقول

---

[1]- منهج الفن الإسلامي : محمد قطب ، دار الشروق ، ط 6 - 1983 م، ص 147 .

[2]- سورة يس .

[3]- سورة الحاقة .

الشعراء الظنون ، فيعتقدون بهم أحيانا ، ما يشبه الجنون ."[1]

ومن ثم ، كان هذا النفي مسوغا ، لدى فريق من المسلمين ، للقول بأنّ الشعر أمر مذموم في الإسلام ، وعلى المسلم أن يربأ بنفسه عنه .

واستغلّ العديد من المستشرقين هذه الثغرة، فتبنوا فكرة مؤداها أنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم ، كان ، طيلة حياته ، على عداء مستحكم مع الشعر والشعراء ،[2] مستندين في ذلك، إلى جملة من الأحاديث الشريفة ، في هذا الباب، من قبيل قوله، عليه الصلاة والسلام : « لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا »[3]، وقوله، صلى الله عليه وسلم ، حين مرّ برجل ينشد شعرا : « خُذُوا الشَّيْطَانَ ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ »[4]، وما روي من : « أنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، حرّم سبعة أشياء : النوح، والشعر، والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير. »[5]

فهذه الأحاديث الشريفة وما شابهها ، يوحي ، ظاهرها بذم الشعر وتبغيضه، ويوهم بأنّ هناك تعارضا بينها وبين الأحاديث الشريفة ، التي تستحسن الشعر، وتثني على قائله ، ولا تجد حرجا في الاستماع إليه ، والتمثل به .

---

[1] - أحاديث الشعر : الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي، تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط 1 - 1989 م ، ص 7 .

[2] - ينظر أصول الشعر العربي: ديفيد صمويل مرجليوث،ترجمة د. إبراهيم عوض،دار الفردوس، ط 2006 م، ص 13 .

[3] - صحيح مسلم : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النّيسابوريّ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2 - 2000 م ، ص 1001 .

[4] - المصدر نفسه .

[5] - أحاديث الشعر : عبد الواحد بن علي المقدسي، ص 92 .

والواقع أنّ نفي الشعر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، لا يؤدي بالضرورة إلى ذم الشعر بإطلاق ،" ولو أنّ كون النبيّ، صلى الله عليه وسلم، غير شاعر غضّ من الشعر، لكانت أمّيته غضّا من الكتابة، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد ."[1]

وبقليل من التأمّل، يتبين أنّ المراد من الشعر، في حديث : [ لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قيحا. ] تحديدا، إنّما هو ذلك الشعر الذي يدعو إلى الرذيلة سرا وجهرا، ويزين الموبقات ويحيد عن تعاليم الإسلام وقيمه، ويذكي روح العصبية، مفرّقا بين أبناء الأمّة الواحدة وهو ذلك الشعر الذي يهيم صاحبه في كل واد، ويفتري على الله الكذب، ويقول ما لا يفعل، ويتبع في ذلك العصاة، وأصحاب الضلالة ."[2]

ويصدق هذا أيضا، على حديث : [ أَمْسِكُوا الشَّيْطَان ]، ( إشارة إلى الشاعر الذي كان ينشد شعرا ). فالحديث الشريف - وإن سكت عن مضمون هذا الشعر الذي استحق قائله أن ينعت بالشيطان - إلا أنّه يحمل على الشعر المذكور آنفا. قال القرطبي ، في تعليقه على هذا الحديث : " قال علماؤنا : وإنّما فعل النبيّ،صلى الله عليه وسلم، هذا مع الشاعر، لِمَا عُلِم من حاله، ولعل هذا الشاعر كان ممّن قد عُرِف من حاله أنه اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا منع ، فيؤذي الناس في أموالهم ، وأعراضهم ."[3]

ولعل ما يؤكد ذلك، كثرة الأحاديث الشريفة،التي تبيح الشعر،وتجيز سماعه والتمثل به.

وهذا ما درج عليه السلف الصالح . قال أبو عمر : " ولا ينكر الحسن من الشعر أحد

---

[1]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط 2004 م ، 1 / 13 .

[2]- ينظر قراءة في النقد القديم : د. بسيوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1- 2010 م ، ص 56 .

[3]- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط 1 - 2006 م ، 16 / 92 .

من أهل العلم ، ولا من أولي النُّهَى ، وليس أحد من كبار الصحابة، وأهل العلم، وموضع القدوة ، إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه فرضيه، ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا، ولا لمسلم أذى . فإذا كان كذلك، فهو والمنثور من القول سواء، لا يحل سماعه ، ولا قوله ."[1]

وكل ذلك، اقتداء بنبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذي كان " يحبّ هذا الشعر، ويستنشده ، ويثيب عليه ، ويمدحه ، متى كان في حقه، ولم يعدل به إلى ضلالة، أو معصية ."[2]

وعلى الرغم من أنّ النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يقل شعرا، إلا أنّه كان يتذوّق الشعر ويتأثر به .

فقد قال ، عليه الصلاة والسلام ، معبّرا عن تأثّره بأبيات ( قتيلة ) بنت الحارث، في رثاء أخيها ( النضر ) ، الذي ناصب الإسلام العداء ، وأسر في غزوة بدر، فأمر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بهدر دمه، قال، صلى الله عليه وسلم :" لَوْ سَمِعْتُ شِعْرَهَا، قَبْلَ قَتْلِهِ، لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ ."[3] إشارة منه ، صلى الله عليه وسلم، إلى قولها :

يَا رَاكِبًا، إِنَّ الأُثَيْلَ مَظَنَّةٌ، مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ، وَأَنْتَ مُوَفَّقُ .

أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةً، مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ .

مِنِّي إِلَيْكَ، وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً، جَادَتْ بِوَاكِفِهَا، وَأُخْرَى تَخْنُقُ .

هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ، إِنْ نَادَيْتُهُ، أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لاَ يَنْطِقُ

أَ مُحَمَّدٌ، يَا خَيْرَ ضِنْءٍ كَرِيمَةٍ، فِي قَوْمِهَا، وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ، لَوْ مَنَنْتَ، وَرُبَّمَا مَنَّ الفَتَى، وَهُوَ المَغِيظُ ،المُحْنَقُ ،

أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ، فَلَيُنْفَقَنْ، بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، ص 89 .

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2005 م، ص 212.

[3]- سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم : أبو محمد عبد الملك بن هشام، مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، 2 / 420.

فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً، وَأَحَقُّهُمْ، إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ، لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ، تُشَقَّقُ .
صَبْرًا، يُقَادُ إِلَى المَنِيَّةِ، مُتْعَبًا، رَسْفَ المُقَيَّدِ، وَهْوَ عَانٍ، ومُوثَقُ .[1]

وعن عمر بن زيد أنه قال :"رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : هِيهِ. فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ : هِيهِ، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مائة بَيْتٍ" .[2]

فالنبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قد استحسن شعر أمية بن أبي الصلت، واستزاد من إنشاده، لما فيه من الحكمة، والإقرار بالوحدانية والبعث . ولم ينكر، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصحابة، رضي الله عنهم ، ما كانوا يتجاذبونه من أطراف الحديث عن الجاهلية ، وما كانوا يتناشدونه من أشعارها، في حضرته، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فعن جابر بن سمرة، رضي الله عنه، قال : " جَالَسْتُ النبيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكْثَرَ مِنْ مائَةِ مَرَّةٍ، فَكَانَ أَصْحابُهُ يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ، وَيَتَذَاكَرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ، فرُبَّمَا تَبَسَّمَ مَعَهُمْ ."[3] مما يعني إباحة قول الشعر وسماعه .

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال :" أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ : [ أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ ][4]

فالرسول، صلى الله عليه وسلم ، كان يدرك تماما، قيمة الشعر ومكانته، ويعي أهمية الدور الذي يؤديه في المجتمع العربي، ومن ثم، قال صلى الله عليه وسلم :"

---

[1]- سيرة ابن هشام : 2 / 420 .

[2]- صحيح مسلم، ص 1000 .

[3]- سنن الترمذي : الإمام الحافظ ابن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط 2- 2015 م ، ص 551 .

[4]- سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض، ط 2- 2015 م ، ص 577 .

إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ سَجْعٌ مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ ، بِهِ يُعْطَى السَّائِلُ ، وَبِهِ يُكْظَمُ الغَيْظُ، وَبِهِ يُؤْتَى القَوْمُ فِي نَادِيهِمْ ."[1]

وهكذا يكون الرسول الكريم ، قد وقف من الشعر موقف الموجّه ، وبيّن، في أكثر من مناسبة ، مواصفات الشعر المقبول، والشعر المرفوض، في ميزان الإسلام ، فقال : " إِنَّمَا الشِّعْرُ كَلاَمٌ مُؤَلَّفٌ، فَمَا وَافَقَ الحَقَّ مِنْهُ ، فَهُوَ حَسَنٌ ، وَمَا لَمْ يُوَافِقِ الحَقَّ مِنْهُ ، فَلاَ خَيْرَ فِيهِ ."[2]

وحثّ ، صلى الله عليه وسلم ، على الالتزام بالشعر المقبول، ونبْذِ غير المقبول، فقال: "الشِّعْرُ فِيهِ كَلاَمٌ حَسَنٌ وَقَبِيحٌ ، فَخُذِ الحَسَنَ ، وَاتْرُكِ القَبِيحَ ."[3]

وبهذا، يكون الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد وضع - بما أوتي من حكمة - أمام الشعراء ، المنهج الربّانيّ الذي يسيرون عليه ، ولم يهدر هذه الطاقة الشعرية، بل أفاد منها في نصرة الدعوة الإسلامية ، وعدّها سلاحا ماضيا في وجه المشركين والكفار. فعن عائشة رضي الله عنها، قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ لِحَسَّان بن ثابت : " إِنَّ رُوحَ القُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا كَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ."[4]

**3- موقف الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم :**

لقد سار الخلفاء الراشدون ، رضي الله عنهم ، على هدي النبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونهجوا نهجه ، في فهم الشعر، فميزوا بين شعر ضارّ، طغت عليه نزعة الشرّ والفساد ، وشعر حسن ، يستهدف الحكمة والخير العامّ ، وموافقة الحق فهذا أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، يبدي إعجابه بشعر النابغة، ويفضله على

---

[1]- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط 1 ( د. ت )، 1 / 224

[2]- العمدة: ابن رشيق، 1 / 18.

[3]- المصدر نفسه .

[4]- الأغاني : الأصفهاني، 4 / 110 .

سائر الشعراء ، جاعلا منه" أشعر الناس، وأحسنهم شعرا، وأعذبهم بحرا، وأبعدهم غورا."[1]

فهذه إشارة نقدية، من الخليفة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه، إلى تفوق النابغة في الموضوعات الشعرية، ولاسيما المدح، الذي يركز فيه على القيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة . دون أن يفوت الخليفة ، التنبيه على الناحية الفنية للشاعر، حيث استطاع أن يجعل شعره ، مزيجا من الطابع البدوي، على ما فيه من غلظة وجفاء ، والطابع الحضري الذي يتميز برقة الألفاظ ، ودقة التصوير ، بحكم أنّ الشاعر كان يختلف إلى بلاط الملوك .

وهذا الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، يطرب لبيت زهير بن أبي سلمى :

[ وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ، وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ ، تُعْلَمِ ] فيعلق عليه ، قائلا : " أَحْسَنَ زُهَيْر وَصدَقَ،لَوْ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ بَيْتًا فِي جَوْفِ بَيْتٍ،لَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ ."[2]

تثير هذه الالتفاتة النقدية قضية الصدق والكذب في الفن عامة ، وفي الشعر خاصة ، وهي من القضايا النقدية ، التي كان لها الحظ الأوفر من النقاش على مدى العصور المتتالية ، وليس من اليسير الفصل فيها ، وحسبنا القول : إنّ الصدق، في هذا العصر تحديدا، جاء تعديلا للمقولة المشهورة : [ أجود الشعر أكذبه ]، واستعاضة لها بمقولة : [ أجود الشعر أصدقه ]، يؤكّد هذا قول حسان بن ثابت :

وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُهُ، عَلَى المَجَالِسِ، إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمُقًا

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ، أَنْتَ قَائِلُهُ، بَيْتٌ، يُقَالُ - إِذَا أَنْشَدْتَهُ - : صَدَقَا[3].

من هذا المنظور،نجد أنّ الكذب كذب،سواء أبمعناه الفني كان [الإفراط والمبالغة ]، أم بمعناه الأخلاقي [ عدم مطابقة الواقع ] .

---

[1]- العمدة : ابن رشيق ، 1 / 85.

[2]- الأغاني : الأصفهاني ، 10 / 239 .

[3]- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : تحقيق عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 1- 2006 م، ص 183.

وهذا الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يميل إلى تفضيل امرئ القيس، لأنه رآه أحسن نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ، ولا لرهبة .[1]

فالإمام علي، رضي الله عنه، يعجب بشعر امرئ القيس، ويرجع مصدر إعجابه إلى أمرين : يكمن أحدهما في إبداع الشاعر، والإتيان بما لم يسبقه إليه غيره من الشعراء - كما هو معروف عنه - ويكمن الآخر في أنّ الشاعر يتمتع بقدر كبير من الحرية ، بمعنى أنّ شعره لا يخضع لبواعث الرغبة في العطاء وغيره ، كما لا يكون تحت ضغط الرهبة والخوف . وما دام كذلك ، فهو مهيّأ لأن يكون أقرب إلى الصدق والصواب .

أما الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، فكان أكثر خبرة بالشعر، وأوسع إلماما بمواطن الحسن ومواطن الضعف فيه، وما فتئ يرسي دعائم المنهج الإسلامي في التعامل مع الشعر والشعراء . فكان حريصا على توجيه الشعراء نحو شعر ، يقوم على أساس عنصري الحق والصدق ، إلى جانب الجودة والإتقان في أسلوب الأداء، أو الصنعة الشعرية .

ولعل ما ساعده في ذلك ، معرفته الواسعة بأحوال العرب ، وولعه بالاستماع إلى الشعر . فضلا عن أنّه كان راوية للشعر، جيّد الاستحضار له ، " ولا يكاد يعرض له أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر "[2]

مضى الخليفة عمر، رضي الله عنه، يشجع الشعراء بآرائه النقدية، ويحثهم على السير في الاتجاه الذي يتحرى فيه الشاعر الصدق وإصابة المعنى، وتجنب المبالغة .

وأول ما يصادفنا ، من آرائه النقدية ، رأيه في أهمية الشعر، ودعوة الناس إلى تعلمه ، إذ يقول : " تعلّموا الشعر ، فإنّ فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى"[3].

---

[1]- ينظر العمدة : ابن رشيق ، 1 / 30 .

[2]- البيان والتبيين : الجاحظ ، 1 / 241 .

[3]- زهر الآداب وثمر الألباب : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ألفاظه د. زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ط 3 - 1953 م، 1 / 28 .

ومن ذلك ما بعث به إلى موسى الأشعري، رضي الله عنه، قائلا : " مُرْ مَنْ قِبَلَكَ بتعلم الشعر، فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب "[1].

فهو بهذا الرأي ، يقف موقف المرشد والموجّه إلى ما ينبغي أن يكون عليه الشعر الجيد، ويضع له مقاييس محددة ، تنسجم مع روح الإسلام ، وهي المقياس الأخلاقي، وصحة المعاني وصدقها ، والغاية التبليغية .

وفي ضوء هذه المقاييس، نجده يقدم النابغة على باقي الشعراء ، عندما سأل وفد غطفان : أيّ شعرائكم الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًا ، خَلَقًا ثِيَابِي ، عَلَى خَوْفٍ ، تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ

فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا ، كَذَلِكَ ، كَانَ نُوحٌ لاَ يَخُونُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأيّ شعرائكم الذي يقول :

حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ، وَلَيْسَ ، وَرَاءَ اللّهِ ، لِلْمَرْءِ ، مَذْهَبُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأيّ شعرائكم الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَاللّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ، وَإِنْ خِلْتُ أَنّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ ؟

قالوا : النابغة . قال : " هذا أشعر شعرائكم "[2].

أمّا زهير بن أبي سلمى ، فانسجام شعره مع هذه المقاييس النقدية ، المتفقة مع الإسلام ، هو الذي جعله يحوز منزلة عليا ، عند عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، حيث عدّه أشعر القوم .

فعن ابن عباس قال : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَوْمًا : " يَا بْنَ عَبَّاس ، أَلَسْتَ تُنْشِدُنِي لِشَاعِرِ الشُّعَرَاءِ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ أَمِيرُ الشُّعَرَاءِ ؟ قَالَ : زُهَيْرٌ. قُلْتُ : وَلِمَ صَيَّرْتَه شَاعِرَ الشُّعَرَاءِ ؟ قال : لِأَنَّهُ لاَ يُعَاظِلُ الكَلِمَتَيْنِ ،وَلاَ يَمْدَحُ رَجُلاً بِغَيْرِ مَا فِيهِ "[3].

---

[1]- العمدة : ابن رشيق، 1 / 19 .

[2]- الشعر والشعراء : ابن قتيبة، 1 / 158 .

[3]- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 68 .

ندرك، من هذه الإشارة النقدية، مدى موضوعية عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في إصدار حكمه النقدي، مدعما إيّاه بذكر الأسباب والحيثيات التي حملته على إصدار هذا الحكم . حيث يرى أنّ مذهب زهير، بعيد عن التعقيد، خال من الألفاظ الغريبة، ومعانيه صادقة، معتدلة، ولا أثر فيها للغلو والإفراط .

وبالمقابل، لا يتردد الفاروق - شأنه شأن سائر الخلفاء الراشدين - في الوقوف بالمرصاد للشعر الذي يسير في الاتجاه المعاكس للقيم الإسلامية، ومعاقبة قائليه، حتى يعودوا إلى جادة الصواب : كالهجاء المقذع مثلا، فهو عنده، نوع من القذف الذي حرمه الإسلام ، وعاقب عليه .

وغنيّ عن البيان قصته مع الحطيئة ،حيث رفع إليه الزبرقان بن بدر شكوى مُفادها أنّ الحطيئة قد هجاه هجاء مقذعا، فما كان من الخليفة عمر، رضي الله عنه، إلا أن أمر بإيداعه الحبس، ولكن أدخل عليه بعدها ، فأنشده أبياته المؤثرة :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ ، بِذِي مَرَخٍ، زُغْبِ الحَوَاصِلِ ، لاَ مَاءٌ ، وَلاَ شَجَرُ ؟

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ، فَاغْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلاَمُ اللَّهِ ، يَا عُمَرُ.

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ، أَلْقَتْ إِلَيْكَ ، مَقَالِيدَ النُّهَى، البَشَرُ.

فاغرورقت عيناه بالدموع ، وأمر بإطلاق سراحه على الفور .[1]

وإذا ما استثنينا الصبغة الجديدة ، التي اصطبغ بها النقد الأدبي ، في هذا العصر،[أعني نزوعه إلى التقيد بمبادئ الإسلام، ومحاولته إرساء معايير جديدة لجودة الشعر، أساسها المضمون في المقام الأول] ، فإنّه ، على العموم ، لا يختلف كثيرا ، عما كان عليه النقد الأدبي ، في العصر الجاهلي .

**ج - النقد الأدبي في العصر الأموي :**

لقد استغرق حكم بني أمية حقبة من الزمن ، تناهز القرن ، إذ بدأ بخلافة معاوية بن أبي سفيان ، سنة 41 هـ ، وآل إلى السقوط سنة 132 هـ ، على يد بني

[1]- الأغاني : الأصفهاني ، 2 / 121 .

العباس .[1] وكانت هذه الحقبة كافية لإحداث انقلاب شامل على ما كان سائدا في صدر الإسلام، لاسيما فيما يتعلق بالخلافة ونظام الحكم ، والسياسة المعتمدة في بناء الدولة .

ولعل انتقال السلطة ، في هذا العصر، من الحجاز إلى الشام ، كان رمزا مهما لهذا الانقلاب ، إذ أصبحت الخلافة ملكية وراثية ، ولم تعد قائمة على مبدأ الشورى، كما كانت في صدر الإسلام . فقد ردّت ( سفينة ) على من أخبرها أنّ بني أميّة يزعمون أنّ الخلافة فيهم ، ردّت قائلة : " كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك ، من أشدّ الملوك ، وأول الملوك معاوية ."[2]

فمعاوية ، على ما عرف عنه من حلم وحنكة ودهاء ، لم يسلم من نقد المؤرخين، ذلك لأنهم يعتبرونه أول ملك في الإسلام ، والعرب يكرهون هذا اللقب ، والغالب عندهم ، أن يطلق على سلاطين الأعاجم .[3]

وانتهج خلفاء بني أمية وأمراؤهم سياسة تستهدف ترسيخ دعائم حكمهم ، في المقام الأول، متخذين لذلك شتى الوسائل : كإذكاء روح العصبية القبلية، وإغداق الأموال والعطايا على الهاشميين ، لصرفهم عن التفكير في المطالبة بحقهم في الخلافة .

وفي ظل هذه الظروف ، لم يقف الشعر موقف المتفرج ، بل كان له دور رائد ، في النهوض بالحركة الأدبية ، بعامة ، والحركة النقدية بخاصة ، حيث تأثّر وأثّر في هذه الأحداث، فعبّر عنها أصدق تعبير، وصورها أحسن تصوير، مما يعدّ من الأسباب المباشرة لخصبه وتنوع آفاقه .

تبعا لذلك، نشطت الحركة النقدية ، على نطاق واسع ، فشملت بيئات شتى لعل أهمها بيئة الحجاز التي بدأ فيها الذوق يتطور، تطورا يتماشى وحياة الترف والمرح،

---

[1]- ينظر تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة - بيروت، ط 2 - 1978 م ،1 / 200 .

[2]- تاريخ الخلفاء: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (849- 911 هـ )، مطبوعات الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، ط2- 2013 م ، ص 329 .

[3]- ينظر تاريخ العرب : د. فيليب حتي،دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،ط 4 -1965 م، 1 / 260 .

وبدت فيه ملامح التنصل من الطابع البدوي المحض، والنزوع إلى الطابع الحضري، الذي شاع فيه ما شاع ، من أدب رقيق يتفق وروح العصر بما يشتمل عليه من دعابة ووصف صريح للنساء ، ورقة وخفة ، وظرف وتذوق رفيع للجمال، وأساليب القول .[1]

وبيئة العراق التي كانت تربة خصبة للشعر السياسي ، ممثلا في شعراء الأحزاب، والشعر القبلي ، ممثلا في الثالوث الشهير : جرير، والفرزدق، والأخطل، وغيرهم من فحول هذا العصر .[2]

أما بيئة الشام ، فلم يزدهر الشعر فيها ، ازدهاره في بيئتي الحجاز والعراق، وظلّ وليد الحروب التي كانت تنشب، بين الحين والآخر، بين القبائل اليمنية بالشام، والقبائل القيسية التي وفدت عليه ، مهاجرة من الحجاز ونجد .[3]

والطريف في الأمر، أنّ الاهتمام بالشعر ونقده ، في هذا العصر، لم يكن وقفا على فئة خاصة، بل طال مختلف فئات المجتمع من خلفاء وأمراء، وشعراء وفقهاء حتى.. فمن نقد الخلفاء على سبيل المثال ، ما روي عن الأقيشر- الشاعر الأموي المشهور - أنّه دخل يوما ، على عبد الملك بن مروان، وعنده قوم ، فذكروا قول نصيب :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ، مَا حَيِيْتُ ، فَإِنْ أَمُتْ ، فَيَا وَيْحَ دَعْدٍ، مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي ؟

فقال الأقيشر: والله ، لقد أساء قائل هذا البيت. قال عبد الملك بن مروان : فكيف كنت تقول ، لو كنت قائله ؟ قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمُ نَفْسِي ، حَيَاتِي ، فَإِنْ أَمُتْ ، أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدي !

قال عبد الملك : واللّه، لأنت أسوأ قولا منه حين توكّل بها . فقال الأقيشر : فكيف كنت تقول ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : كنت أقول :

تُحِبُّكُمُ نَفْسِي ، حَيَاتِي ، فَإِنْ أَمُتْ ، فَلاَ صَلُحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدي .

---

[1]- ينظر النقد الأدبي : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط 4 - 1967 م ، 2 / 452 .

[2]- ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب : عبد العزيز عتيق ، ص 152 .

[3]- ينظر المصدر نفسه : ص192 .

فقال القوم جميعا : أنت والله ، يا أمير المؤمنين ، أشعر القوم .[1]

وما روي من أنّ الفرزدق " دخل على عبد الملك، وسليمان ولي عهد ، ونصيب عنده، فقال سليمان بن عبد الملك : أنشدنا يا أبا فراس، وأراد أن ينشده بعض ما امتدحه ، فأنشده :

وَرَكْبٍ ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمُ  لَهَا ، سَلَبًا ، جَذْبَهَا لِلْعَصَائِبِ .
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ ، وَهْيَ تَلُفُّهُمْ ،  إِلَى شُعَبِ الأَكْوَارِ، ذَاتِ الحَقَائِبِ.
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا ، يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ،  وَقَدْ خَضِرَتْ أَيْدِيهِمُ ، نَارُ غَالِبِ !

فغضب سليمان ، فأقبل على نصيب ، فقال : أنشد مولاك، يا نصيب . فأنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ ، لَقِيتُهُمْ ،  قِفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ، وَمَوْلاَكَ قَارِبُ .
قِفُوا خَبِّرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ ، إِنَّنِي  لِمَعرُوفه ، مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ ، طَالِبُ
فَعَاجُوا، فَأَثْنَوْا، بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ،  وَلَوْ سَكَتُوا، أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ .

فقال له سليمان : أَحْسَنْتَ . وأمر له بصلة ، ولم يصل الفرزدق، فخرج الفرزدق، وهو يقول :

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً،  وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ العَبِيدُ .[2]

فالخليفة سليمان يفاضل بين الفرزدق ونصيب،اللّذين أنشداه شعرا موحد الغرض [ المدح ]، والوزن [ بحر الطويل ]، والرويّ [ الدال]، فينتصر لنصيب، ويحكم له بالتفوق على الفرزدق . فما كان من الفرزدق إلا أن لاذ بالسلاح الذي تفوق فيه [الهجاء]، وقال، معرّضا بغريمه :

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً،  وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ العَبِيدُ .

أما الشعراء، فقد أقبلوا على نقد بعضهم بعضا، مركزين على المفاضلة بين الشعراء ، والنظر في شعرهم ، من حيث صياغة العبارة ، أو الصورة الفنية وغير

[1]- الشعر والشعراء : ابن قتيبة، 1 / 412 .
[2]- المصدر نفسه : ص 410 .

ذلك . وكان عمر بن أبي ربيعة محط الأنظار، وكان لشعره الحظ الأوفر من النقد، إذ قال عنه نصيب : "لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال"[1]

فنصيب يصف هنا ، عمر بن أبي ربيعة بأنّه لا يدانيه شاعر، في الغزل والنسيب ووصف النساء . ويتفق هذا الرأي مع رأي جرير، حيث يقول : " إنّكم ، أهل المدينة، يعجبكم النسيب وإنّ أنسب الناس المخزومي [ يقصد ابن أبي ربيعة][2] ومع رأي الفرزدق ، حين سمع قول عمر :

جَرَى نَاصِحٌ بِالوُدِّ ، بَيْنِي وَبَيْنَهَا، فَقَرَّبَنِي ، يَوْمَ الحِصَابِ ، إِلَى قَتْلِي .

فلمّا بلغ قوله :

فَقُمْنَ ، وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللُّبِّ أَنَّمَا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِينَ ، مِنْ ذَاكَ ، مِنْ أَجْلِي .

صاح الفرزدق ، قائلا : " هذا، واللّهِ ، الذي أرادته الشعراء، فأخطأته، وبكت الديار ووقع هذا عليه ."[3]

ولا يختلف رأي جميل بن معمر، في شعر عمر، عن رأي نظرائه . فمما يروى أنه اجتمع مع عمر بن أبي ربيعة ، بالأبطح ، فأنشده قصيدته ، التي يقول فيها :

لَقَدْ فَرِحَ الوَاشُونَ ، أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةُ ، أَوْ أَبْدَتْ لَنَا جَانِبَ البُخْلِ .

يَقُولُونَ : مَهْلاً ، يَا جَمِيلُ ، وَإِنَّنِي لَأُقْسِمُ مَا لِي ، عَنْ بُثَيْنَةَ ، مِنْ مَهْلِ .

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الروي شيئا ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدنيه ، فأنشده قصيدته التي مطلعها :

جَرَى نَاصِحٌ بِالوُدِّ ، بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَقَرَّبَنِي، يَوْمَ الحِصَابِ ، إِلَى قَتْلِي .

فعلق عليها جميل قائلا : " هيهات، يا أبا الخطاب، لا أقول، والله، مثل هذا سجيس الليالي، والله، ما خاطب النساء مخاطبتك أحد. وقام مشمرا ."[4]

---

[1]- الأغاني : الأصفهاني ، 1 / 232 .

[2]- المصدر نفسه : ص 70 .

[3]- المصدر نفسه .

[4]- المصدر نفسه : 1 / 93 .

فجميل يقرّ بأنّ قصيدته أصغر من أن ترقى إلى مستوى قصيدة أبي الخطاب، وهو من هو قدرة على وصف النساء، والتشبيب بهن، ومن ثم، فجميل لم يجد أيّ حرج في أن يفضل شعر عمر على شعره ، ويحكم له بالتفوق البيّن ، في الغزل ، على سائر الشعراء .

وإلى جانب الشعراء ، هناك من يمكن أن نطلق عليهم اسم ( الهواة ) ، وهم فئة من النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر ، دون أن يصرفوا اهتمامهم إلى قوله ونظمه، ربما لورعهم وتنسكهم، وقوة عاطفتهم الدينية .

ولعل أشهر هؤلاء، بدون منازع، ابن أبي عتيق بن عبد الرحمن، بن أبي بكر الصديق ابن قحافة .[1] أبوه وأجداده من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو شخصية " قد غلبت عليه الدعابة وشهر بها ، وكان من نساك قريش وظرفائهم ، بل كان قد بذّهم ظرفا ."[2]

وهو لم يتخلف عن تقديم عمر بن أبي ربيعة ، وتفضيله على غيره من شعراء الغزل إذ يقول : " لشعر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة، ليست لشعر غيره ، وما عُصِيَ الله جلّ ذكره بشعر أكثر مما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك : أشعر الناس من دقّ معناه ، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته ."[3]

فابن أبي عتيق ، بملاحظته النقدية هذه ، يضع جملة من المقاييس، التي يجب توفرها في الشعر الغزلي الجيد : كضرورة تأثير الشعر في نفس المتلقي ، بفضل ما يتضمن من خصائص : كدقة المعنى ، وسهولة المخرج ، ومتانة النسيج الشعري،

---

[1]- العقد الفريد : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ( ت 328 هـ ) ، تحقيق محمد سعيد العربان، المكتبة التجارية الكبرى ، ط2- 1953 م ، 7 / 18 .

[2]- ينظر الكامل في اللغة والأدب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3- 1972م ، 2 / 175 .

[3]- الأغاني : الأصفهاني ، 1 / 88 .

ووضوح المراد .

ولئن كان ابن أبي عتيق يتصدر النقاد ، من غير الشعراء ، فإنّ سكينة بنت الحسين رضي الله عنه ، تحتل المرتبة الثانية بعده . فمن ملاحظاتها النقدية ، قولها، في التعليق على قول جرير:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ ، فَارْجِعِي بِسَلاَمِ

تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ، كَأَنَّهُ بَرَدٌ ، تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ .

" أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت : فادخلي بسلام ، أنت رجل عفيف "[1]. فهي قد أدركت ، بطبيعتها الأنثوية وذوقها، أنّ الشاعر قد أساء في توظيف كلمة ( ارجعي ) بحيث إنّ هذه الكلمة جاءت في سياق يوحي بأنّ الشاعر في غنى عن المحبوب ، وكان المفروض أن يستعمل عبارة : (فادخلي بسلام ) بدلا من : (فاخرجي بسلام ) ، لأن العبارة الأولى تفي بالغرض إذ توحي بالتودّد إلى المحبوب .

[1] - ينظرالموشح : المرزباني، ص 158 .

# الفصل الأول : محمد بن سلام الجمحي

1.1- عصر ابن سلام الجمحي .

2.1- لمحة عن حياته .

3.1- نشاطه العلمي .

## 1.1- لمحة عن عصر ابن سلام الجمحي.

### أ- مناحي الحياة السياسية :

لقد قدّر لابن سلاّم أن تكون حياته العلمية متزامنة مع ولاية عدد من خلفاء بني العباس ، إذ امتدت حياته من ولاية الخليفة محمد المهدي بن المنصور (169 هـ) إلى نهاية خلافة الواثق بالله سنة 232 هـ .[1] وبذلك، يكون قد شهد أخصب مراحل الدولة العباسية ، وأكثر عهودها استقرارا .

ولئن كانت الدولة الأموية شديدة الحرص على المحافظة على الطابع العربي للدولة، قلبا وقالبا ، فإنّ الدولة العباسية شهدت تحوّلا سياسيا مغايرا ، بحيث فتحت الباب على مصراعيه لكل الأجناس ، ولم يعد العنصر العربي فيها ، سوى عنصر من العناصر المكونة لها ، فقوي في عهد العباسيين الأولين نفوذ الفرس ، وكان هذا النفوذ يزداد قوة يوما بعد يوم [2]. ولكي تضفي الدولة العباسية الشرعية على سياستها المنتهجة ، استندت في ذلك إلى القول بأن الإسلام قام أساسا ، على نبذ كل أشكال التعصب ، سواء أقَبَليّا كان ، أم جنسيا . ومن ثم، اتخذت مبدأ المساواة بين العرب والموالي شعارا لها ، فاستمالت بذلك الفرس، فلم يترددوا في الوقوف إلى جانبها ، والاستماتة في الدفاع عن دعوتها ونصرتها ، لاسيما أنهم كان يحدوهم الأمل في التحرر من هيمنة العنصر العربي، في العهد الأموي . [3] وما إن استتبّ الأمر للدولة العباسية ، على إثر انتصار جيوشها على خصومهم الأمويين ، بقيادة أبي مسلم الخراساني ، حتى بدأت النوايا الحقيقية للفرس تطفو على الساحة السياسية والنزعة القومية تطغى عليهم بصورة واضحة ، وسعوا في تحقيق أهدافهم الرامية

---

[1]- النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام : د . حسن عبد الله شرف ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1- 1984 م ، ص 13 .

[2]- ينظر ضحى الإسلام : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط 10 ، 1 / 40 .

[3]- ينظر تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك ) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط 2 ، 7 / 344 .

إلى الاستيلاء على السلطة واسترجاع مجدهم الغابر، وترسيخ أسس حضارتهم . ولعل انتصاراتهم العسكرية المتوالية على الأمويين كانت عاملا ، له شأنه في تأجيج نزعتهم هذه ، فأخذوا يجاهرون بالتعبير عن مشاعر التفوق على العرب أصلا ، وعلما وحضارة[1].

وسرعان ما استشرى أمرهم ، وتغلغلوا في أجهزة الدولة العباسية بما فيها الجيش والإدارة ، حتى إنّ بعض الأُسَر الفارسية استطاعت أن تحتفظ بمنصب الوزارة زهاء خمسين عاما [2]. وتمادى نفوذهم ، الأمر الذي ضاق به ذرعا الخليفة الرشيد ، وأبدى امتعاضه من جرأة البرامكة على التصرف في شؤون سلطانه ، فعمد إلى التنكيل بهم ، بادئا بقتل زعيمهم جعفر بن يحي البرمكي سنة 185 هـ .[3]ولم تخب نار النفوذ الفارسي بالقضاء على البرامكة، سنة 187 هـ ، بل سرعان ما خلفهم بنو سهل ، وهم من الفرس أيضا ، واستغلوا النزاع ، الذي نشب بين الخليفتين الأخوين الأمين والمأمون ، لتأجيج الصراع من جديد ، بين النزعة العربية ، ممثلة في وزير الأمين ، الفضل بن الربيع ، وهو عربي ، والنزعة الفارسية، ممثلة في وزير المأمون، الفضل بن سهل ، وهو فارسي .[4] وأسفر هذا الصراع عن رجحان كفة الفرس من جديد بالقضاء على الأمين ، وتولية المأمون الخلافة ، سنة 198هـ . وهكذا أحكم الفرس قبضتهم على الدولة العباسية ، ولم يعد للعرب ، من مراكز السيادة ، سوى الخلافة واللغة العربية ، بوصفها لغة القرآن الكريم .

وخلاصة القول ، أن هذا العصر شهد أشكالا من الصراع السياسي والفكري بين العرب والفرس ، كان له أثر بالغ في مناحي الحياة السياسية ، ولم يكن الفرس

---

[1]- ينظر العصر العباسي الأول : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط 8 ، ص24 .

[2]- تاريخ الطبري : 3 / 479 .

[3]- ينظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : محمد بن علي بن طباطبا ، دار صادر- بيروت ، ص 210 .

[4]- ينظر البداية والنهاية : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط 1 - 1997 م ، 10 / 225 .

العنصر الوحيد ، الذي يشكل تهديدا للخلافة العباسية ، بل كانت هناك عناصر من العرب أنفسهم ، تعمل لإزاحة العباسيين عن الخلافة ، كالعلويين والخوارج : فالعلويون يرون أنفسهم أحق بالخلافة ، لكونهم أبناء بنت الرسول، صلى الله عليه وسلم وأبناء علي ، كرم الله وجهه .

ومن ثم ، شرعوا في إقناع الناس بأن العباسيين اغتصبوا الخلافة منهم ، وأعلن محمد بن عبد الله الثورة ،سنة 145 هـ .[1] فحاول المنصور أن يرده إلى جادة الصواب ، بالحوار والتفاوض ، فلم يُؤَدِّ ذلك إلى نتيجة تذكر، وصار إصرار كلا الطرفين على رأيه هو سيد الموقف ، فما كان من المنصور إلا أنْ أنفذ إليه جيشا، بقيادة ابن أخيه ، عيسى بن موسى فقتله واحتز رأسه ، وحمل إلى المنصور .[2]

ولكن القضاء على محمد بن عبد الله لا يعني بأية حال،القضاء على ثورة العلويين قضاء نهائيا ، وكل ما هناك ، أن العلويين غيروا أسلوبهم في التصدي للعباسيين ، فجنحوا إلى النضال السري، وبين الحين والآخر ،كانت تظهر ثورة لهم هنا وهناك . أما الخوارج ، فكانوا أشد معارضة لبني العباس ، وقاموا بعدة ثورات ، لعل من أبرزها ، ثورة خوارج عمان الإباضيين ، بقيادة الجلندي ، ولكن السفاح ، سرعان ما قضى على هذه الثورة في المهد . كما أخمد المنصور ثورة ملبّد بن حرملة الشيباني بالجزيرة .[3] وفي عهد الرشيد ، ثار الوليد بن طريف الشيباني بالجزيرة ، ولكن ثورته انتهت بالفشل على يد يزيد بن مزيد .[4]

---

[1]- ينظر الفخري : ابن طباطبا ، ص 167 .

[2]- المصدر نفسه .

[3]- ينظر تاريخ الطبري :7/ 499 .

[4]- ينظر المصدر نفسه .

**ب - مناحي الحياة الاجتماعية :**

لقد قامت الدولة العباسية على أكتاف الأعاجم ، وكانت إيذانا بانتهاء النظام القبلي ، الذي كان أساس المجتمع العربي القديم . وكان لهذا الامتزاج ، أثره البالغ في مختلف مظاهر الحياة في العصر العباسي ، ولاسيما الحياة الاجتماعية ، فظهرت حياة الجواري ، بما صحبها من مجون وزندقة ، جنبا إلى جنب ، مع حياة الزهد والإيمان .

**o - حياة اللهو والمجون :**

لقد شكل انتقال العاصمة السياسية للمسلمين إلى بغداد ، تحولا جذريا في تطور الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، لاسيما أن العراق مَهْد حضارة ضاربة في القدم ، وملتقى العرب وغيرهم من سائر الأجناس . فما إنْ استقر الأمر في بغداد،حتى انغمس الناس في أساليب الحياة الأجنبية،بما فيها من لهو، ومجون، وزندقة، وظهرت طبقة من الموظفين تنتمي إلى مختلف الجنسيات، مما جعل أحد الشعراء يعرب عن استيائه منهم ، بقوله :

إنَّ أَوْلاَدَ السَّرَارِي، كَثُرُوا، يَا رَبِّ، فِينَا،

رَبِّ، أَدْخِلْنِي بِلاَدًا، لاَ أَرَى فِيهَا هَجِينَا .[1]

وازداد الأرقاء والسراري كثرة،لاسيما أنّ المبادئ ، التي جرى عليها العمل، في المملكة الإسلامية ، كانت تقضي بجواز استرقاق المسلم لمن أُسِر من الكفار المحاربين من الجنسين استرقاقا لا يزول بزوال شرطيه : الكفر، وأَسْر المحارب .[2]

[1] - الكامل في اللغة والأدب : المبرد ، 2 / 94 .

[2] - ضحى الإسلام : أحمد أمين ، 1/ 79 .

وأولى العباسيون عناية خاصة لتعليم الجواري، وكان للغناء النصيب الأوفر من هذا التعليم ولعله الوحيد الذي تجسد فيه مبدأ المساواة ، حيث شُغِفت به مختلف شرائح المجتمع ، متجاوزة اعتبارات المكانة الاجتماعية .

ولمّا كان الغناء وثيق الصلة بالشعر، حيث درج الناس، في هذا العصر، على التغني بالشعر العربي الفصيح ، مثل شعر بشار ، ومسلم بن الوليد ، وأبي العتاهية كان من الطبيعي أن يتبع ذلك تعلم الشعر ،" لأن المغنية لا تحسن أن تغني هذه الأشعار إلا إذا حفظت كثيرا من الشعر، وأجادت مخارج الحروف ، واطّلعت على كثير من الأدب ."[1] وكلما كانت الجارية على قدر كبير من التعليم ، علا شأنها، وتضاعفت قيمتها . "فقد عرضت جارية بثلاث مائة دينار، فلما علّمها إبراهيم بن المهدي الغناء عرض في ثمنها ثلاثة آلاف دينار ".[2] وبيعت عَريب، المغنية الشهيرة، بخمسين ألف درهم .[3] وصار بلاط الخلفاء، وبيوتات الأثرياء ، وكبار رجال الدولة ، قبلة للجواري من كل الجنسيات، يُغدَق عليهن من المال بغير حساب . ففَضْل،الشاعرة - على سبيل المثال، لا الحصر- لمّا أُهْدِيَتْ إلى المتوكل، قال لها : أ شاعرة أنت ؟ قالت : كذا زعم من باعني واشتراني . فضحك وقال : أنشدينا شيئا من شعرك فأنشدته:

اِسْتَقْبَلَ المُلْكُ إِمَامَ الهُدَى، عَـــامَ ثَلاَثٍ وَ ثَلاَثِينَا

خِلاَفَةٌ أَفْضَتْ إِلَى جَعْفَرٍ، وَهْوَ ابْنُ سَبْعٍ بَعْدَ عِشْرِينَا

إِنَّا لَنَرْجُو، يَا إِمَامَ الهُدَى، أَنْ تَمْلِكَ المُلْكَ ثَمَانِينَا

لاَ قَدَّسَ اللَّهُ امْرأً لَمْ يقُلْ، عِنْدَ دُعَائِي لَكَ : آمِينَا

[1]- ضحى الإسلام : أحمد أمين ، 1 / 90 .

[2]- المصدر نفسه : ص 91 .

[3]- الأغاني : الأصفهاني ، 21 / 52 .

فاستحسن الأبيات وأمر لها بخمسة آلاف درهم .[1] وكان لبعض الجواري نفوذ وتأثير حتى في ما يتّخذه الحكام من قرارات : فالرشيد اشترى ذات الخال بسبعين ألف درهم ، ثم حلف ألا تسأله ، يومه ذلك، شيئا إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها . فسألته أن يولي حمويه الحرب والخراج ، ففعل ذلك، وكتب له عهده به ، وشرط على وليّ العهد بعده ، أن يتمّها له ، إن لم تتمّ في حياته.[2] واقترنت ظاهرة الجواري بمجالس اللهو والأنس . وقد صور بعض أهل العصر أحد هذه المجالس،بقوله : "مجلس أخذت فيه الأوتار تتجاوب ، والأقداح تتناوب ، أعلام الأنس خافقة ، ونحن بين بدور، وكاسات تدور، وبروق راح ، وشموس وأقداح ."[3] وكان يرتاد هذه المجالس الموسرون ، ومجان الشعراء ، وينغمسون في شرب الخمر وسماع الغناء . قال ديك الجن ، الشاعر المشهور :

مُعَتَّقَةٌ، مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ ، كَأَنَّمَا  تَنَاوَلَهَا مِنْ خَدِّهِ ، فَأَدَارَهَا

وقال أبو نواس، وهو أستاذ الناس، في هذا الشأن[4] :

وَخَدِينِ لَذَّاتٍ، مُعَلِّلِ صَاحِبٍ،  يَقْتَاتُ مِنْهُ، فُكَاهَةً وَمُزَاحَا.

قَالَ : اِبْغِنِي المِصْبَاحَ. قُلْتُ لَهُ : اِتَّئِدْ، حَسْبِي وَحَسْبُكَ، ضَوْءُهَا مِصْبَاحَا

فَسَكَبْتُ مِنْهَا، فِي الزُّجَاجَةِ، شَرْبَةً،  كَانَتْ لَهُ، حَتَّى الصَّبَاحِ، صَبَاحَا.

وقد أقبل الناس على معاقرة الخمر ، وأدلى الشعراء بدلائهم في وصفها ، والتعبير عن مدى التأثير الذي تخلّفه في العقول ، حتى أصبحت غرضا مهمّا ، من أغراض

---

[1]- تاريخ الخلفاء : السيوطي ، ص 548 .

[2]- ينظر الأغاني : الأصفهاني ، 16/ 234 .

3- زهر الآداب : الحصري ، 2 / 470 .

[4] - المصدر نفسه ، ص 472 .

الشعر الجديدة . قال أبو نواس أيضا :[1]

وَدَارِ نَدَامَى ، عَطَّلُوهَا ، وَأَدْلَجُوا ، بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ : جَدِيدٌ، وَدَارِسُ.

مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى ، وَأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ : جَنِيٌّ، وَيَابِسُ.

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي ، فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ، وَإِنِّي، عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ، لَحَابِسُ،

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا، وَيَوْمًا ، وَثَالِثًا ، وَيَوْمًا ، لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ ،

تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ ، فِي عَسْجَدِيَّةٍ ، حَبَتْهَا ، بِأَلْوَانِ التَّصَاوِيرِ، فَارِسُ .

فَلِلْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا ، وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ القَلاَنِسُ.

وكان قصر الأمين مسرحا للجواري الغلاميات ، اللائي يرتدين زي الغلمان وقد كلف بهنّ كلفا شديدا حتى تندر عليه معاصروه .[2]

كما كان قصر المأمون يزخر بالجواري المسيحيات ،[3] ومثله قصر المعتصم والواثق .[4]

ولئن كان صاحب الأغاني قد صرف جل اهتمامه ، إلى تصوير جانب اللهو والمجون، حتى ليظن المرء أن الحياة ، في هذا العصر ، كانت كلها مجونا وإباحة ، فمن الإنصاف القول بأن الحياة في بغداد ، لم تكن كلها مجونا ، وتهالكا على الإباحة والفجور ، لا سيما " أنّ تعدد الزوجات ، الذي أباحه الإسلام ، وما أعطاه للرجل من حق تَسرّي الجواري ، كل ذلك حال دون سقوط بغداد جميعها في هوة الفساد ."[5]

---

[1]- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ : تحقيق إيفالدفاغنر وغريغورشيلر ، النشرات الإسلامية ، ط 1988، 3 / 183.

[2]- - مروج الذهب ومعادن الجوهر: الإمام أبو الحسن بن علي المسعودي ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط 1 - 2005 م ، 4 / 244 .

[3]- الأغاني : الأصفهاني ، 19 / 138 .

[4]- المصدر نفسه: 5 / 288 .

[5]- ينظر العصر العباسي الأول : د . شوقي ضيف ، ص 73 .

والواقع أنّ التراث العربي لا يخلو من كتب ، تصور جانب الزهد والإيمان، في العصر العباسي ، على غرار ما فعل ابن سعد ، في " طبقاته "، وابن الجوزي ، في " صفة الصفوة " وغيرهما .

**O - حياة الزهد والإيمان :**

الزهد ، في أصل الوضع اللغوي ، هو ترك الميل إلى الشيء . نقول : زهد في الشيء زهدا وزهادة : أعرض عنه لاحتقاره له ، أو لتحرّجه منه ، أو لقلّته[1]. وزهد في الدنيا : ترك حلالها ، مخافة حسابه ، وحرامها ، مخافة عقابه . لذلك قيل : الزهد نوعان : أحدهما في الحرام ، والآخر في الحلال .[2] ومن ثم ، فالزهد ضد الرغبة ، وفرّقوا بين الزهد والزهادة ، فقالوا : هو في الدنيا ، وهي في الدين .

أما الزهد في الاصطلاح ، فهو أخذ قدر الضرورة ،من الحلال المتيقّن الحِلّ . فهو أخص من الورع ، إذ هو ترك المشتبه، وهذا زهد العارفين، وأعلى منه زهد المقرّبين، وهو الزهد فيما سوى الله تعالى، من دنيا، وجنة وغيرهما، إذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد إلا الوصول إليه تعالى، والقرب منه .[3]

وقد حفل العصر العباسي بالعديد من الأعلام،ممن صاروا المثل الأعلى في الورع، والتقوى والزهد ، والعزوف عن الدنيا .

ونستشفّ من سِيَر هؤلاء ، وأخبارهم ، أنّ لهم رؤية خاصة للحياة ، وكل ما يتّصل بها، فهم يحتقرون الدنيا كل الاحتقار، بدعوى أنها زائلة ، وأنها تصرف المرء ، وتلهيه عن بلوغ مقاصده : فهذه رابعة العدوية ، البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة، تسمع صالحا المرّيّ يكثر من ذكر الدنيا في قصصه ، فتناديه : يا صالح ! من أحَبَّ

---

[1]- كليات أبي البقاء ، ص 490 .

[2]- المعجم الفلسفي : د . جميل صليبا ، 1 / 640.

[3]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : الباحث العلامة محمد علي التهانوي ، تحقيق د . علي دحروج / د . عبد الله الخالدي / د . زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1- 1996 م ، 1 / 913 .

شيئا ، أكثر من ذكره .[1] واستأذن عليها مرة ، ناس، ومعهم سفيان الثوري فتذاكروا عندها ساعة ، وذكروا شيئا من الدنيا فلما قاموا ، قالت لخادمتها : إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه ، فلا تأذني لهم ، فإني رأيتهم يحبون الدنيا .[2] والزهّاد يكثرون من العبادة والتهجد. حكت عبدة بنت أبي شوال،خادمة رابعة العدوية أنها ( رابعة ) كانت تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر، هجعت هجعة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول : يا نفس ، كم تنامين ، وإلى كم تقومين ، يوشك أن تنامي نومة ، لا تقومين منها إلا ليوم النشور .[3]

ويقتّرون على أنفسهم ، فيرضون بكفاف العيش . حكى حرملة بن يحي أن ابن أبي عيينة أراه خبز شعير، وقال له : هذا طعامي، منذ ستين سنة .[4]

ولما كان للشكر والصبر منزلة رفيعة في نظر الدين، فإن الزهاد، في هذا العصر، تحلّوا بالصبر، وداوموا على الشكر، لاعتقادهم أنه سبب للمزيد من فضل الله، وحافظ لنعمه. قال ابن أبي الحواري : قلت لسفيان بن عيينة : ما الزهد في الدنيا؟ قال : إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي ببلية فصبر، فذلك الزهد .[5]

ولا يذهب بنا الظن إلى أن الزهاد كانوا منقطعين كلية عن عالم الناس ، بل كانوا متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخشون في ذلك لومة لائم، مهما كان المأمور بالمعروف والمنهي عن المنكر .

---

[1]- سير أعلام النبلاء : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 - 1982 م ، 8 / 241 .

[2]- المصدر نفسه .

[3]- صفة الصفوة : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي( 510- 597 هـ ) ، تحقيق أحمد بن علي ، دار الحديث - القاهرة ، ط 2009 م ، 2 / 245 .

[4]- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 8 / 461 .

[5]- المصدر نفسه : 2 / 1856 .

فهذا أحد الزهاد ، يقول للخليفة المنصور ، بعدما أَمَّنَهُ على نفسه : إنَّ الله تبارك وتعالى اِسْترعاكَ المسلمين وأموالَهم ، فأغفَلْتَ أُمورَهُمْ ، وَاهْتَمَمْتَ بجمع أمْوالِهِمْ، وَجَعَلْتَ بينك وبينهم حجابا من الجِصِّ والآجُرِّ، وأبْوابًا من الحديد، وحَجَبَةً معهم السّلاح والكُراعُ ، وأمَرْتَ بألاَّ يدخل عليك إلاّ فلان وفلان ، نَفَرٌ سَمَّيْتَهُمْ ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري، ولا الضّعيف الفقير ، ولا أحد إلاّ له في هذا المال حقّ . فلما رآك هؤلاء النفر ، الّذين استخلصتَهم لنفسك ، وآثرتَهم على رعيتك، وأمرْتَ ألاّ يُحْجَبُوا عنك ، تُجْبي الأموال وتجمعها ، ولا تقسمها، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بالنا لا نخونه ، وقد سجن لنا نفسه ؟ فأتمروا ألاّ يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلاّ ما أرادوا ، ولا يَخْرُجَ لك عامل ، فَيُخالفَ أمرهم إلاّ قَصَبُوهُ عندك ، ونَفَوْهُ حتى تسقط منزلته ، ويصغر قدره ."[1]

فهذا الزاهد ، على زهده ، يتمتع بوعي سياسي ، ويمتلك جرأة على النقد البناء ، لا أعتقد أنّ رجلا من رجال السياسة ،آنذاك،يجرؤ على مثل ما جرؤ عليه هذا الزاهد.

**ج - مناحي الحياة الفكرية :**

من حسن حظ العصر العباسي الأول ، أنْ كان حكامه من الخلفاء العلماء الذين لهم شغف شديد بالعلم . ومن ثم ، لم يألوا جهدا في النهوض بالعلم ، ولم يقصروا في تكريم العلماء ، وتقديرهم حق قدرهم .

يروى أنّ المنصور ، لمّا مات ابنه جعفر، ورجع إلى قصره ، بعد دفنه ، أمر وزيره أن يحضر له، من أهله، من ينشده عينية أبي ذؤيب الهذلي ، التي مطلعها :

أَ مِنَ المَنُونِ، وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ، وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ ؟

[1] - عيون الأخبار : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، دار الكتاب العربي،بيروت - لبنان ، 334 / 2

لعله يجد فيها عزاء عن مصابه الجلل، فالتمس الوزير ذلك في بني هاشم ، فلم يجد أحدا منهم يحفظ القصيدة ، فقال المنصور : والله ، لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم واحد يحفظ هذا، لقلة رغبتهم في الأدب ، أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني[1]. وكان المنصور فصيحا، بليغا، مفوها ، جيد المشاركة في العلم والأدب .[2] وتعود جذور الثقافة، في هذا العصر، إلى جملة من الروافد، التي كان لها تأثير بالغ في الحياة العقلية والثقافية . ولعل أبرز هذه الروافد هي : الرافد الفارسي، والرافد اليوناني ، والرافد الهندي ، والرافد العربي .[3] وهناك رافد آخر، لا يقل أهمية عن هذه الروافد ، ألا وهو الرافدالديني، المتمثل في كل من اليهودية، والمسيحية، والإسلام .

وقد مر بناء صرح الحضارة الإسلامية،في هذا العصر،بمرحلتين : إحداهما مرحلة الأخذ والنقل ، والأخرى مرحلة الإبداع والعطاء : ففي المرحلة الأولى، كان لنقلة العلوم المختلفة حظوة كبيرة لدى الخلفاء ، فأقبلوا، بشغف، على الترجمة إلى العربية ، بتشجيع من الخلفاء الذين كان لهم قناعة بأن الترجمة عنصر فاعل في الازدهار الثقافي ، ما جعلهم يولونها اهتماما كبيرا فكانت مجالا خصبا ، وقضية ذات أهمية فائقة ، ونافذة مهمة على العالم ، ووسيلة ناجعة للاطلاع على العلوم والمعارف المختلفة . فأنشأ الرشيد ( بيت الحكمة ) ، ونصب يوحنا بن ماسويه أمينا له- وهو طبيب فاضل، خدم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل-[4]، وأسند إليه مهمة القيام بترجمة العديد من كتب الطب، والفلسفة، والتنجيم لمشاهير رجالات الفكر اليوناني، من أمثال أرسطو، وجالينوس، وأبقراط .

---

[1] - الأغاني : الأصفهاني ، 6 / 192 .

[2] - تاريخ الخلفاء : السيوطي ، ص 422 .

[3] - ينظر ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، 3 / 7 .

[4] - الفهرست: محمد بن إسحاق النديم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان،ط 1- 2006 م ،7/ 354.

كما لمع نجم حنين بن إسحاق ، في الترجمة إلى العربية ، فقام بنقل عدة كتب منها : ( عهد أبقراط ) ، وأضاف إليه شيئا من جهته .[1]

ونشير هنا ، إلى أن نزعة التسامي، لدى معظم الأوربيين ، أبت عليهم أن يقروا بفضل الحضارة الإسلامية عليهم ، وإن فعلوا، فأقصى ما يقولونه ، أنّ العرب قاموا بدور ساعي البريد لا أكثر، ولا أقل ! وهي عبارة أشبه بالذم منها بالمدح ، إذ تقلل من دور العرب ، وتطمس - جهلا أو تجاهلا - الكثير من الحقائق .[2]

وتلت هذه المرحلة، مرحلة الإبداع والعطاء ." وفيها أثبت العرب أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم ، وتراث اليونان المدرسي وهضمه ، بل حولوا التراثين لحاجاتهم الخاصة وطرق تفكيرهم ، وأضافوا إليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه ."[3]

وقد ظهرت مآثرهم في الكيمياء والطب ، فكان لابن سينا كتاب الشفاء ، وكتاب القانون ، في الطب ، وهو من أقدم الكتب العربية المطبوعة ، وقد اعتمدته دور العلم الأوربية في تدريس الطب ، وبلغت عدة ترجماته خمس عشرة ترجمة إلى اللاتينية ، في ظرف ثلاثين سنة ، من القرن الخامس عشر الميلادي .[4] ونبغ الرازي، الذي كان أكثر أطباء الإسلام غزارة إنتاج ، وهو أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي، نسبة إلى الري ، وهي لا تبعد كثيرا عن طهران ، عاصمة إيران الحديثة .[5] وهو الذي استشير في المكان المناسب لبناء البيمارستان ، ببغداد ، والذي أصبح هو رئيس الأطباء فيه ، فأمر بتعليق شرائح من اللحم النيّئ ، في عدد من نواحي بغداد، ثم

---

[1]- الفهرست : ابن النديم ، 7/ 354.

[2]- ينظر شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريدهونكه ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل - بيروت ، ط 8 - 1993 م ، ص 12 .

[3]- تاريخ العرب : د . فيليب حتي ،2 / 444 .

[4]- The Evolution Of Modern Medicine Of Avicenna : William Osler , a series of lectures delivered at Yale University in April , 1913 , p 98 .

[5]- Arabian Medicine : Edward G. Browne , Larose , 1933 , p 4 . . . . . .

أشار ببنائه في الناحية التي يتأخر فيها فساد اللحم ، وامتاز الرازي بمعارف طبية واسعة شاملة لم يعرفها أحد قط منذ أيام جالينوس [1] وقد أحصى له ابن النديم مائة وثلاثة عشر كتابا ، وثماني وعشرين رسالة [2]، منها رسالة ( الجدري والحصبة )، وهي أول ما كتب في هذا الباب ، وتعد مفخرة ، من مفاخر التآليف الطبية عند العرب .[3] وللرازي في الكيمياء ، اثنا عشر مؤلفا ، من أهمها كتاب الأسرار .

أما في مجال الفلسفة ، فقد برز العديد من فلاسفة الإسلام ، كالكندي ، والفارابي ، وابن سينا وغيرهم . ولم يكن الكندي بارعا في الفلسفة فحسب ، بل كان له أيضا، إلمام واسع بالتنجيم ، والكيمياء ، والبصريات ، وأصول الموسيقى . وقد نسب إليه ما لا يقل عن مائتين وخمسة وستين كتابا ، أكثرها مفقود مع الأسف .[4]

أما الفارابي ، فإلى جانب الشروح ، التي وضعها على كتب أرسطو ، وسواه من فلاسفة الإغريق ، فله جملة من الكتب في علم النفس ، والسياسة ، وما وراء الطبيعة ، منها رسالة فصوص الحكم .[5]

خلاصة القول أن هذا العصر ، بلغ درجة عالية من النضج الفكري ، والتقدم العلمي في مختلف فروع المعرفة ، من طب ، وكيمياء ، ورياضيات ، وعلم فلك، وفلسفة ، وأدب ، وتاريخ وجغرافيا ، وعلوم دينية . ووصلت منجزات المسلمين العلمية إلى الغرب فكان لها تأثير مباشر في بعث حضارتهم من جديد.

---

[1] - ينظر شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريد هونكه ، ص 246.

[2] - ينظر الفهرست : ابن النديم ، 10 / 423 .

[3] - تاريخ العرب : فيليب حتي ، 2 / 448 .

[4] - المصدر نفسه .

[5] - المصدر نفسه .

## 2.1 - لمحة عن حياة ابن سلام.

تتفق الروايات والأخبار ، التي عرضت لترجمة ابن سلام الجمحي ، على أنه : " أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم ، الجمحي ، البصري ، مولى قدامة بن مظعون ."[1] وقد انفرد الزبيدي ، في صدد حديثه عن نسبه ، بإضافة تفيد أنه " مولى محمد بن زياد"[2]. في حين اكتفى ابن النديم بذكر كتبه ، واسمه ونسبه ، ومجال اهتمامه العلمي، فقال : " هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي ، أحد الأخباريين والرواة. "[3]

ولد ابن سلام بالبصرة ، سنة 150 هـ ، وتوفي في بغداد ، سنة 232 هـ .[4] أما تحديد أصله ، فإنّ جلّ القدماء والمحدثين ، الذين ترجموا له، لم يعرضوا لذكره ، لكن عبد الله شرف ، يرجح أنه من أصل عربي ، مستندا، في ذلك ، إلى ما ذكره ابن النديم والفضل بن الحباب ، من أن ابن سلام من جمح ، وهي قبيلة عربية .[5]ولعل ما يقوي رأيه ، هو انتماء والد ابن سلام الجمحي إلى الجيل الأول ، من علماء اللغة والأدب والحديث ، وهؤلاء قلما ينتمون إلى أصول أعجمية . ولئن كانت الروايات تتحدث باهتمام ، عن نسبه ، وعن شيوخه وتلامذته ونشاطه ، العلمي ، فإن طفولته ، وجوانب كثيرة من حياته الخاصة ، لم تحظ بمثل هذا الاهتمام ، وبقيت في الظل ، يكتنفها شيء غير قليل ، من الغموض ، الذي لا تجلّيه الرواية ، التي تفيد

---

[1] - تاريخ مدينة السلام ( وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها ) : الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ( 392- 463 هـ )، تحقيق د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1- 2001 م ، 3 / 276 .

[2] - طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 2 ،ص 180.

[3] - الفهرست : ابن النديم ، 3 / 126 .

[4] - الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط 15- 2002 م ، 6 / 146 .

[5] - ينظر النقد في العصر الوسيط : حسن عبد الله شرف ، ص 39 .

أنّ ابن سلام رمي بالقدر[1] ،لأنها رواية مبتسرة ، ذاهبة في الغموض والإبهام : فمن ذا الذي، أو الذين ألصقوا به هذه التهمة ؟ وهل هم من عامة الناس ، أو علمائهم ؟ وهل كان اتهامهم مؤسسا على قول ، قاله ابن سلام ، أو موقف وقفه ؟ كل هذا سكتت عنه هذه الرواية، ولعلها - إن صحت- من قبيل ما درج عليه الخصوم ، في كل زمان ومكان ، من محاولة التقليل من شأن كبار العلماء ، وتقويلهم ما لم يقولوا ، لسبب أو لآخر .

### 3.1 - نشاطه العلمي .

يمتاز النشاط العلمي لابن سلام بالسعة والعمق ، إلى جانب تنوع المعارف ، التي ساعد على تنميتها المناخ الثقافي الحافل بأعلام عصره في شتى العلوم والمعارف والذي جعل منه شخصية علمية ، ذات مكانة مرموقة في اللغة والأدب والأخبار حتى عدّ - بحق - من أهل الفضل واللغة والأدب[2] . ولم يجانب الصواب الإمام الذهبي حين وصفه بأنه الأخباري ، العالم ، العلامة ، والأديب البارع .[3]

وصنفه الزبيدي في الرتبة الخامسة ، بعد كل من إبراهيم بن سفيان بن بكر الزيادي ، وأبي محمد عبد الله بن محمد التّوزيّ ، والعباس بن الفرج الرّياشيّ، وأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني[4].

واختلف إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى مدة طويلة ، وشهد له في طبقاته بأنه والأصمعي كانا من أهل العلم . ولابن سلام من الكتب،غير كتاب طبقات الشعراء : كتاب الفاضل في ملح الأخبار والأشعار، وكتاب بيوتات العرب ، وكتاب الحلاب

[1] - ينظر الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، ط 1- 2000 م ، 3 / 96 .

[2] - ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة : الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ، 3 / 143 .

[3] - ينظر سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 10 / 651 .

[4] - ينظر طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي ، ص 180 .

وأجراء الخيل ، وكتاب غريب القرآن . فضلا عن أنه يظهر ، في كتابه ' طبقات الشعراء' ، ناقدا وأديبا متميزا ، أدرك ، منذ وقت مبكر ، كثيرا من أسباب الجودة والإخفاق ، في الشعر العربي القديم .

"وتدل آراؤه الخاصة ، المبثوثة في الكتاب ، على ذوق نقدي حصيف ، قادر على إنزال الشعراء منازلهم واستخلاص الرائع من أشعارهم ، على سبيل الحجة والدليل."[1]

ولقد نشأ ابن سلام في بيت على قدر كبير من العلم والصلاح ، الأمر الذي ساهم بقوة ، في تكوين شخصيته العلمية ، وتنمية حب الاطلاع والتحصيل في نفسه : فقد كان أبوه وأخوه كلاهما راوية ثقة للحديث الشريف . وكان ابن سلام على صلة دائمة ببعض كبار الشعراء والأدباء ، من أمثال بشار بن برد ، ومروان بن أبي حفصة ، وغيرهما من الوجوه البارزة في دنيا الأدب واللغة . ولعل هذه النشأة هيّأت لابن سلام التخرج باقتدار، في مدرستين رفيعتي المستوى [ البصرة وبغداد] على أيدي العديد من العلماء المقتدرين الأجلاء ، الذين كان لهم دور فعال في النهوض بالحركة العلمية والأدبية ، وكان ابن سلام يختلف إلى مجالسهم في هاتين الحاضرتين ، فينهل من علمهم ، ويسمع منهم ، وقد بلغت عدة شيوخه في الطبقات، ما يزيد على تسعة وسبعين شيخا ، وفق إحصاء الأستاذ محمود محمد شاكر [2] .

ونظرا للجمع الغفير من العلماء ، الذين سمع منهم ابن سلام ، فليس الهدف هنا ، الإحاطة بهم جميعا ، وإنما الاكتفاء بالوقوف عند من لازمهم ابن سلام ، ملازمة تفي بإثبات التأثير والتأثر . ومن أبرزهم :

- يونس بن حبيب [ ت 189 هـ ] :

---

[1]- التفكير النقدي عند العرب : د . عيسى علي العاكوب، ص 108.

[2]- ينظر مقدمة طبقات فحول الشعراء ، شاكر ، : 1 / 21 .

وهو عالم قدير ، تتلمذ على أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة [1]، وسمع منه كل من الكسائي والفراء[2]، واختلف إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى أربعين سنة[3] .

أما حلقته بالبصرة ،فكان يرتادها أهل العلم وطلاب الأدب والفصحاء والأعراب[4]

فأستاذية يونس بن حبيب لابن سلام ، تعدّ إجازة لها شأنها في المنزلة المرموقة التي بلغها وكان يونس بن حبيب غزير التأليف نسبيا ، وله من التصانيف' معاني القرآن' و' اللغات ' و' النوادر الكبير ' و' النوادر الصغير ' و ' الأمثال ' .[5]

ومن المحتمل أنّ ابن سلام ، في كتابه ' الفاضل في ملح الأخبار والأشعار ' قد تأثر بعض التأثر، بكتابي أستاذه يونس بن حبيب ، الموسومين بـ ' كتاب النوادر الكبير ' و' كتاب النوادر الصغير '، وكذلك يمكن أن يكون الأمر ، بالنسبة إلى ' معاني القرآن ' الذي يبدو أنّ ابن سلام قد استرشد به ، في كتابه ' غريب القرآن .

على أنه من الإنصاف القول إنّ ابن سلام ، مع ذلك ، قد أفاد من شيخه كأحسن ما تكون الإفادة ، دون أن يفقد شخصيته المميزة .

● - الأصمعي [ ت 214 هـ ] :

---

[1] - ينظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 - 1997 م ، 1 / 388 .

[2] - أخبار النحويين البصريين : القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط1- 1955 م ، ص 27 .

[3] - ينظر مراتب النحويين : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ط 2009 م ، ص 34 .

[4] - طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي ، ص 48 .

[5] - الفهرست : ابن النديم ، 1 / 48 .

هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك[1]، واسمه عاصم ، وكنيته أبو بكر ، وغلب عليه لقبه ، والأصمعي نسبة إلى جده ' أصمع ' وكان الأصمعي صدوقا في الحديث[2] ، صاحب لغة ونحو ، وإماما في الأخبار والنوادر والملح والغرائب .[3] وصفه الزبيدي بأنه كان من أروى الناس للرجز ، وأوثقهم في اللغة ، وأسرعهم جوابا وأحضرهم ذهنا "[4] ويحدثنا الأصمعي عن نفسه قائلا :"حضرت أنا وأبو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع ، فقال لي : كم كتابك في الخيل ؟ فقلت : جلد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه ، فقال : خمسون مجلدة . فقال له : قم إلى هذا الفرس ، وأمسك عضوا عضوا منه وسمه ، فقال : لست بيطارا ، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب، فقال لي : قم يا أصمعي ، وافعل ذلك . فقمت وأمسكت . ناصيته ، وشرعت أذكر عضوا عضوا ، وأضع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه إلى أن فرغت منه ، فقال : خذه . فأخذته ، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ، ركبته إليه "[5]

وكان غزير التأليف، فهو يحدثنا عن مكتبته ، ومبلغ ما اشتملت عليه من التصانيف بقوله : " لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقّة ، قال لي : هل حملت معك شيئا من كتبك ؟

فقلت :نعم،حملت ما خف حمله. فقال : كم ؟ فقلت : ثمانية عشر صندوقا ، فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟ فقلت أضعافها . فجعل يعجب ."[6]

---

[1]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار صادر- بيروت ، ط 1977 م ، 3 / 170 .

[2]- أخبار النحويين البصريين : السيرافي ، ص 47 .

[3]- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، 3 / 170 .

[4]- ينظر طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي ، ص 169 .

[5]- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، 3 / 172 .

[6]- الأغاني : الأصفهاني ، 5 / 64 .

وقد ذكر له ابن النديم نيفا وأربعين كتابا ، في مواضع مختلفة [1]، بعضها شعرية ، وبعضها الآخر كتب لغوية . إلا أنه فاته ذكر بعض منها ككتاب ' فحولة الشعراء ، الذي جمع فيه الأصمعي عددا كبيرا من الشعراء الجاهليين والإسلاميين .

ويبدو أن ابن سلام استلهم الفكرة الرئيسة ، التي بني عليها هذا الكتاب ، فصنف كتابه " طبقات الشعراء" على منواله ، فأبدع وأجاد .

وإذا كان الأصمعي يعتقد أن العلم إنما يصح بالرواية والأخذ من أفواه العلماء[2]، فقد أخذ ابن سلام بهذا المبدأ ، وتمسك بالقول إنه : " ليس لأحد - إذا أجمع أهل العلم ، والرواية الصحيحة ، على إبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة ، ولا يروى عن صحفي ."[3]

● - أبو عبيدة بن معمر بن المثنى [ ت 208 هـ ] :

هو معمر بن المثنى، التيميّ ، البصريّ، اللغويّ، النحويّ .[4] كان هو والأصمعي متقاربين في النحو ، إلاّ أنّ أبا عبيدة كان أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم، وأنسابهم . يشهد له بذلك الجاحظ بقوله : " لم يكن في الأرض خارجيّ ، ولا إجماعيّ أعلم بجميع العلوم منه ."[5]

---

[1]- ينظر الفهرست : ابن النديم .

[2]- ينظر المنتقى من أخبار الأصمعي : الإمام ضياء الدين المقدسي ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي- دمشق ،ط 1- 1354 هـ ، ص 3 .

[3]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 4 .

[4]- ينظر إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين : عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1- 1986 م ، ص 350 .

[5]- البيان والتبيين : الجاحظ ، 1 / 347 .

وكان أبو عبيدة يفد على الخلفاء ، في البصرة وبغداد ، وله حكايات في المناظرة والمناقشة مع الأصمعي ، في مجلس الرشيد ، ثم انتقل إلى بغداد سنة 188 هـ ، استقدمه إليها الفضل بن الربيع في خلافة الأمين .[1]

وقد روى عنه ابن سلام ، في ' الطبقات ' أحد عشر خبرا وكان له أثر بالغ في توجيه اهتمامه إلى الميادين الشعرية والنقدية ، إذ كان يمده بمعين لا ينضب من أصول اللغة والنحو ، والأنساب ، والنقد وسير الرجال ، ثم الشعر.[2] ولأبي عبيدة نحو مائتي مؤلف ، منها : نقائض جرير والفرزدق ، ومجاز القرآن ، ومآثر العرب ، وما تلحن فيه العامة ، ومعاني القرآن ، وطبقات الشعراء ، والمحاضرات والمحاورات ، وإعراب القرآن .[3]

لقد أسفرت الجهود العلمية لابن سلام ، عن تخريج جيل كامل من العلماء الأكفاء الذين حملوا لواء العلم والمعرفة ، وحُمِّلوا مسؤولية مواصلة بناء الصرح الثقافي والعلمي ، وكُثُرٌ هُمْ تلامذة ابن سلام ، الذين جلسوا إليه وسمعوا منه .

ولعل أبرزهم :

- الفضل بن الحباب [ ت 305 هـ ] :

وهو أبو خليفة ، الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي، ابن أخت محمد بن سلام الجمحي ، من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب ، وكان ثقة صادقا ، مأمونا ، أديبا ، فصيحا ، مفوّها ، رُحِل إليه من الآفاق .[4]

فضلا عن أنه كان ظريفا مولعا بالسجع . ومن أخباره في ذلك ، أنّ لصّا دخل داره يوما ، فصاح ابنه باللص، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار ، فقال : أيها اللص، ما

---

[1] - ينظر تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان،دار مكتبة الحياة- بيروت ،ط 3 - 1974م ، 2 / 406 .

[2] - ينظر ابن سلام وطبقات الشعراء : د . منير سلطان ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ص 107 ،

[3] - ينظر الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط 15- 2002 م ، 7 / 272 .

4- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، 14 / 7 .

لك وما لنا ؟ إن أردت المال، فعليك بفلان وفلان ، إنما عندنا قمطران : قمطر فيه أحاديث ، وقمطر فيه أخبار ، إن أردت الحديث ، حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي، وأبي عمرو الجوصي، وابن كثير ، وإن أردت الأخبار، أخبرناك عن الرياشي ، عن الأصمعي ومحمد بن سلام . فصاح ابنه : إنما كان كلبا . فقال : الحمد لله الذي مسخه كلبا ، وردّ عنا حربا .[1]

كما كان شاعرا جيد الشعر ، من شعره :

قَالُوا : نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمْتَ ، قُلْتُ لَهُمْ : مَا طُولُ صَمْتِيَ مِنْ عِيٍّ ، وَلاَ خَرَسِ

لَكِنَّهُ أَحمَدُ الأَمْرَيْنِ عَاقِبَــةً عِنْدِي ، وَأَبْعَدُهُ مِنْ مَنْطِقٍ شَكِسِ

أَأَنْشُرُ البزَّ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُــهُ ، أَوْ أَنْثُرُ الدُّرَّ لِلْعُمْيَانِ فِي الغَلَسِ ؟

قَالُوا : نَرَاكَ أَدِيبًا لَسْتَ ذَا خَطَلٍ ، فَقُلْتُ : هَاتُوا ، أَرُونِي وَجْهَ مُقْتَبِسِ

لَوْ شِئْتُ ، قُلْتُ ، وَلَكِنْ لاَ أَرَى أَحَدًا يَرْوِي الكَلاَمَ ، فَأُعْطِيهِ مَدَى النَّفَسِ .[2]

وذكر له ابن النديم من التصانيف : كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب الفرسان.[3]

● - إسحاق الموصلي [ ت 235 هـ ] :

هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون ، الموصلي ، النديم المشهور .[4]

---

[1]- معجم الأدباء : ياقوت ، 1 / 2174 .

[2]- المصدر نفسه : 2172 .

[3]- الفهرست : ابن النديم ، 3 / 126 .

[4]- الوافي بالوفيات : الصفدي ، 8 / 253 .

برع في مختلف فنون المعرفة ، فتفرد في صناعة الغناء نظريا وممارسة ، وكان عالما باللغة والموسيقى،والتاريخ وعلوم الدين ، وعلم الكلام ، عالما بالشعر ، حافظا للأخبار.[1]

وله من الكتب المصنفة في اللغة والأدب : كتاب جواهر الكلام ، وكتاب تفضيل الشعر والرد على من يحرمه وينقضه ، وكتاب اللفظ والإشارات ، وكتاب مواريث الحكماء .

ومن مصنفاته في أخبار الشعراء والقبائل : كتاب أخبار حماد عجرد ، وكتاب أخبار ذي الرمّة ، وكتاب أخبار عزة الميلاء ، وكتاب أخبار الهذليين .[2]

أما الغناء ، فلم يكن له فيه نظير، فإنه لحق بمن مضى فيه ، وسبق من بقي ، وسلك للناس جميعا طريقه فأوضحها ، وسهل عليهم سبيله فأنارها، فهو إمام أهل صناعته جميعا ، ورأسهم ومعلمهم ، يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق .[3] صنف فيه عدة كتب ، منها : كتاب أغاني معبد ، وكتاب الاختيار من الأغاني ، وكتاب النغم والإيقاع ، وكتاب قيان الحجاز .[4]

على أنه كان أكره الناس للغناء ، وأشدهم بغضا لأن يوصف بالمغني ، وكان يقول : "لوددتُ أنْ أُضْرَبَ كلّما أراد مريد مني أن أغني ، وكلما قال قائل : إسحاق الموصلي

المغني،عشر مقارع،ولا أطيق أكثر من ذلك، وأُعفى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني إليه.[5] وكان إسحاق الموصلي ، فضلا عن كل ما سبق ، شاعرا ظريفا ، بارعا في صناعة الشعر . وكان الأصمعي ينشد بيتين له ، في الفخر بولائه لخُزَيمة بن خازم ،

---

[1]- الفهرست : ابن النديم ، 3 / 157 .
[2]- ينظر الأعلام : الزركلي ، 1 / 292 .
[3]- الأغاني : الأصفهاني ، 5 / 173 .
[4]- الفهرست : ابن النديم ، 3 / 157 .
[5]- الأغاني : الأصفهاني ، 5 / 173 .

فيعجب بهما ويستحسنهما . والبيتان هما :

إِذَا كَانَتِ الأَحْرَارُ أَصْلِي وَمَنْصِبِي، وَدَافَعَ ضَيْمِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمِ ،

عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ، وَتَنَاوَلَتْ يَدَايَ الثُّرَيَّا، قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمِ .[1]

ومن شعره الذي كان الرشيد يعجب به ، ما روي عن الأصمعي أنه قال : "دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوما على الرشيد ، فرأيناه لَقِس النفس ، فأنشده إسحاق :

وَآمِرَةٍ بِالبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اِقْصِرِي، فَذَلِكَ شَيْءٌ، مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ .

أَرَى النَّاسَ خُلاَّنَ الكِرَامِ، وَلاَ أَرَى بَخِيلاً لَهُ، حَتَّى المَمَاتِ، خَلِيلُ .

وَإِنِّي رَأَيْتُ البُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ، فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ

وَمِنْ خَيْرِ حَالاَتِ الفَتَى، لَوْ عَلِمْتِهِ، إِذَا قَالَ خَيْرًا، أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ

فِعَالِي فِعَالُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً، وَمَالِي، كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ، قَلِيلُ .

وَكَيْفَ أَخَافُ الفَقْرَ، أَوْ أُحْرَمُ الغِنَى، وَرَأْيُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ جَمِيلُ ؟

قال : فقال الرشيد : لا تخف إن شاء الله، ثم قال : لله درّ أبيات تأتينا بها ، ما أشدّ أصولها وأحسن فصولها ، وأقلّ فضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له إسحاق : وصفك والله،يا أمير المؤمنين ،لشعري ، أحسن منه ،فعلام آخذ الجائزة ؟ فعلمت يومئذ ، أنّ إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني ."[2]

● - عمر بن شَبَّة [ ت 262 هـ ] :

هو أبو زيد عمر بن شبّة بن عبيدة بن زيد النميري ، البصري .[3] كان راوية

---

[1] - الوافي بالوفيات : الصفدي ، 8 / 255 .

[2] - الأغاني : الأصفهاني ، 5 / 209 .

[3] - وفيات الأعيان : ابن خلكان ، 3 / 440 .

للأخبار، عالما بالآثار ، أديبا فقيها صدوقا ،[1] روى عن محمد بن سلام عشرة أخبار ونيّفا ، منها ستة أخبار في المغنّين ، وخبران في اللغة ، وخبران في النقد ، وخمسة أخبار في الشعر والشعراء .[2] وتدل عناوين الكتب ، لدى الشيوخ والتلاميذ ، على أنهم ذوو اهتمام علمي مشترك ، وإن كان بينهم نوع من التفاوت في الاهتمام بموضوع بعينه أكثر من الاهتمام بغيره من المواضيع .

بيد أنّ معظم هذه الكتب لم تصلنا ، وإلاّ كنا وقفنا على مواطن الاتفاق بينهم ، وعلى مدى تأثير بعضهم في بعض .

[1]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط1- 1965 م ، 2 / 219 .

[2]- ينظر : ابن سلام وطبقات الشعراء ، منير سلطان ، ص 113 .

## الفصل الثاني: كتاب ' طقات فحول الشعراء'

1.2- الطبقات : المفهوم اللغوي والاصطلاحي

2.2- العنوان وتفصيل القول فيه .

3.2- طبعات الكتاب .

4.2 - تقييم الكتاب .

### 1.2- الطبقات : المفهوم اللغوي والاصطلاحي :

إذا ما رجعنا إلى المعاجم العربية ، ومصادر التراث العربي ، بقصد الوقوف على مدلول لفظة (الطبقة)، ومشتقاتها ، في أصل الوضع اللغوي ، ألفينا أنفسنا أمام حشد من المعاني ، المتقاربة حينا ، والمتباعدة حينا آخر .

بيد أننا نستطيع ، في مجال أوسع ، أن نرد لفظة الطبقة ، ومشتقاتها ، إلى أصولها التاريخية وحقبتها الزمنية ، متى أثبتت النصوص المتاحة لنا ذلك .

فالمتتبع لمادة ( ط ب ق ) ، يجد لها معاني شتى ، في الشعر العربي ، جاهليا كان ، أو إسلاميا . حيث وردت بمعنى الإناء يؤكل فيه ، والمنزلة ، والغضروف بين اثنتين من فقار الظهر ،[1] والغطاء أو الغشاء .[2] ومنه قولهم ، في المثل العربي : وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهُ.[3] أي : غطاءه . وبهذا المعنى ، جاءت مضافة إلى الأرض ، في قول امرئ القيس :[4]

دِيمَةٌ هَطْلاَءُ ، فِيهَا وَطَفٌ ، طَبَقُ الأَرْضِ ، تَحَرَّى ، وَتَدُرُّ .

وهو هنا ، استعمال مجازي ، يحمل معنى الوصف للديمة ( المطر الخفيف ) بالعموم والشمول فكأنها غطاء أو غشاء للأرض .

كما وردت مضافة إلى النجوم ، في قولهم : بات فلان يرعى طبق النجوم .[5]

أي : حالها في مسيرها . قال الراعي النميري :[6]

---

[1]- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4 - 2004 م ، ص 551 .

[2]- أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 - 1998 م ، 1 / 594.

[3]- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف، بالميداني ، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة ، ط 1344 هـ ، 2 / 359 .

[4]- ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، ط 4 ، ص 482 .

[5]- أساس البلاغة : الزمخشري ، 1 / 594 .

[6]- ديوان الراعي النميري : تحقيق راينهرتفايْبرت، دار النشر فرانتسشتاينربفيسبادن ، ط 1980 م ، ص 62

أَرَى إِبِلِي ، تَكَالَأَ رَاعِيَاهَا ، مَخَافَةَ جَارِهَا ، طَبَقَ النُّجُومِ .

ووردت بصيغة الجمع ، مضافة إلى الضمير العائد على الدهر، بمعنى حالات الدهر المختلفة في قول الأفوه الأزدي :[1]

فَصُرُوفُ الدَّهْرِ، فِي أَطْبَاقِهِ ، خِلْفَةٌ ، فِيهَا اِرْتِفَاعٌ ، وَانْحِدَارُ .

والفعل : طَبَّقَ ( بتضعيف العين )،ورد بعدة معان ، منها قولهم : طَبَّقَتِ الإِبِلُ الطريق ، بمعنى : قطعته ، غير مائلة عن القصد.[2] ومنه قول الراعي النميري أيضا :[3]

وَطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ، لَمَّا عَلَوْنَهُ، كَمَا طَبَّقَتْ، فِي العَظْمِ ، مُدْيَةُ جَازِرِ .

وطَبّقَ الحاكم والمفتي : أصاب . قال ذو الرمة :[4]

لَقَدْ خَطَّ رُومِيٌّ ، وَلاَ زَعَمَاته ، لِعُتْبَةَ ، خَطًّا ، لَمْ تُطَبَّقْ مَفَاصِلُهْ .

وطابق بين الشيئين : جعلهما على حذو واحد . وطابقته على الأمر : مالأته. وطابق الفرس والبعير: وضع رجله في موضع يده .[5] ومنه قول الراجز:[6]

حَتَّى تَرَى البَازِلَ مِنْهَا ، الأَكْبَدَا ، مُطَابِقًا ، يَرْفَعُ عَنْ رِجْلٍ يَدَا .

والطِّبْقُ (بكسر الطاء وتسكين العين) : المطابق للشيء . وَالطَّبَقُ (بفتح الطاء والباء)

---

[1]- ديوان الأفوه الأودي : تحقيق د. محمد التونجي ، دار صادر- بيروت، ط 1 - 1998 م ، ص 73 .

[2]- أساس البلاغة : الزمخشري ، 1 / 595 .

[3]- ديوان الراعي النميري : ص 137 .

[4]- ديوان ذي الرمة: قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية،بيروت - لبنان ، ط 1 - 1995 م، ص 432 .

[5]- أساس البلاغة : الزمخشري، 1 / 595.

[6]- المخصص : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 7 / 124 .

الطائفة من الليل أو النهار. كقولهم : مضى من الليل طبق، وأقمت عنده طبقا من النهار[1]. والطبق أيضا : العالم من الناس، كما في قولهم : مضى طبق بعد طبق . ومنه قول العباس بن عبد المطلب :[2]

تُنَقَّلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ، إِذَا مَضَى عَالَمٌ ، بَدَا طَبَقُ .

والمطبقات : الدواهي . ويقال للسنة الشديدة : المطبقة .[3] ومنه قول الكميت :[4]

وَأَهْلُ السَّمَاحَةِ ، فِي المُطْبِقَاتِ ، وَأَهْلُ السَّكِينَةِ ، فِي المَحْفِلِ .

أما في القلرآن الكريم ، فقد ورد ذكر هذه المادة ، في أربعة مواضع : مرة في قولهتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾[5] بمعنى واحدة فوق واحدة ،[6] أو مطابقة بعضها فوق بعض . من طابق النعل : إذا خصفها طبقا على طبق . وهذا وصف بالمصدر ، أو على ذات طباق ، أو على طوبقت طباقا .[7] ومرة في قولهتَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾[8] ومرتين، في قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾[9]

---

[1]- أساس البلاغة : الزمخشري، 1 / 594 .

[2]- أمالي الزجاج : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاج ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط 2 - 1987 م ، ص 44 .

[3]- لسان العرب : ابن منظور، 10 / 212 .

[4]- أساس البلاغة : الزمخشري ، 1 / 595.

[5]- سورة نوح .

[6]-ينظر تفسير القرآن العظيم : الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 4 / 357.

[7]- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 - 1977 م ، 4 / 135 .

[8]- سورة الملك .

[9]- سورة الانشقاق .

أي : لتركبن حالا بعد حال، من شدائد القيامة، أو لتركبن سنة من كان قبلكم ، في التكذيب والاختلاف على الأنبياء .[1] وهذا المعنى، يتناسب مع سياق الآيات، المذكورة قبل هذه الآية ، في السورة نفسها ، حيث نجد فيها المخاطَب مصرحا به ( الإنسان بوصفه جنسا ) ، الأمر الذي يثير في نفس المتلقي نوعا من الطمأنينة إلى حمل معنى اللفظ على هذا الوجه . وقرئ : لَتَرْكَبَنَّ ( بفتح الكاف والباء ) . وعلى هذه القراءة ، يكون الخطاب موجها إلى النبي ،صلى الله عليه وسلم . أي : لَتَرْكَبَنَّ ، يا محمد ، حالا بعد حال ، أو سماء بعد سماء ، أو درجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة، في القربة من الله تعالى[2]. أما مادة ( طبق ) ، بمختلف مشتقاتها ، في الأحاديث الشريفة، فهي من الكثرة بحيث إن الاسترسال في سردها جميعا، يعد ضربا من الاستطراد، الذي يخل بطبيعة البحث . بيد أن هذا لا يمنع من ذكر بعض هذه الأحاديث، المشتملة على بعض معاني هذه المادة . فقد ورد الفعل : أطبق، بمعنى غطى، في حديث أبي ذر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي ، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ .[3]

وطَبَّقَ المصلي في صلاته : جمع في صلاته، بين أصابع يديه، وجمعهما بين ركبتيه، في الركوع والتشهد . فَعَنْ عاصم بن كليب، قَال : "عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الصَّلَاةَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ رَكَعَ وَطَبَّقَ يَدَيْهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ "[4]. والطبقات، بمعنى الأحوال، جاءت في حديث أبي سعيد الخدري،عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم : أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى : فَمِنْهُمْ ، مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، وَيَحْيَى مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا ، وَمِنْهُمْ ، مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَحْيَى كَافِرًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا ، وَمِنْهُم ، مَنْ

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، 22 / 172 .

[2]- المصدر نفسه .

[3]- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، الجعفي البخاري ، تحقيق صبري ابن أبي علفة ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ط 3- 2015 م ، ص 69.

[4]- سنن الدارقُطني : الإمام علي بن عمر الدارقطني ( 306- 385 هـ ) ،دار ابن حزم، ط1- 2011 م، ص 283 .

وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا ، وَمِنْهُمْ ، مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَحْيَى كَافِرًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا ، وَمِنْهُم ، مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا ، وَيَحْيَى مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا ، وَمِنْهُمْ ، مَنْ يُولَدُ كَافِرًا ، وَيَحْيَى كَافِرًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا .[1]

كما جاء لفظ الطبق بمعنى إناء الأكل، في الحديث : عَنْ سَعْدٍ البَقَّالِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتَهَادَيْنَ الجَرَادَ عَلَى الأَطْبَاقِ .[2] وَطَبَاقَاء ( بمعنى البلاهة ، وافتقاد القدرة على حسن التصرف )، ورد ذكرها في حديث عائشة ، رضي الله عنها : " جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ اِمْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ ، وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا . قَالَتِ الأُولَى : زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لاَ سَهْلٌ، فَيُرْتَقَى، وَلاَ سَمِينٌ، فَيُنْتَقَلَ ..... قَالَتِ السَّابِعَةُ : زَوْجِي غَيَايَاءُ، أَوْ عَيَايَاءُ، أَوْ طَبَاقَاءُ ،كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ...[3] والطبقة ،بمعنى الجيل ،أو القوم المتشابهين، في سن أو عهد، وردت في حديث أنس بن مالك، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال : أُمَّتِي عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ : فَأَرْبَعُونَ سَنَةً، أَهْلُ بِرٍّ وَتَقْوَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى عِشْرِينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ، أَهْلُ تَرَاحُمٍ وَتَوَاصُلٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى سِتِّينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ، أَهْلُ دبُرٍ وَتَقَاطُعٍ، ثُمَّ الهَرْجُ الهَرْجُ، النَّجَاءُ النَّجَاءُ .[4] والطبقة، بمعنى فقرة من فقار الظهر، ورد ذكرها في حديث أبي سعيد الخدري، أن ناسا، في زمن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : نعم ..... فيكشف عن ساق . فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه ، إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء ، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة .[5]

---

[1]- سنن الترمذي ، ص 438.

[2]- سنن ابن ماجة ، ص 497 .

[3]- صحيح البخاري ، ص 858.

[4]- سنن ابن ماجة ، ص 627 .

[5]- صحيح مسلم ، ص94.

وَخلاصة القول أن مادة ( ط ب ق ) ، بمختلف مشتقاتها، وردت بضعا وسبعين مرة، مبثوثة في بضعة وستين حديثا، في مظان كتب الحديث الستة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، على النحو الآتي :[1]

| المعاني التي وردت بها لفظة ( طبقة ) | عدد المرات التي ذكرت فيها ، في كتب الحديث . |
|---|---|
| المطابقة بين الشيء ، وما دونه . | خمسون مرة . |
| الجيل | ست مرات . |
| الحال | اثنتا عشرة مرة |
| فقار الظهر | ثلاث مرات |
| الوعاء ، أو ما يوضع فيه الطعام | تسع مرات |
| البلاهة وافتقاد القدرة على حسن التصرف | مرتان |

ويقابل لفظة الطبقة ، عند الغربيين، لفظة (Class)، وهي لفظة ،كانت متداولة بكثرة على ألسنة المفكرين والمثقفين، في الألفية الأولى، من التاريخ الأوربي، للدلالة على فئة ، من فئات المجتمع ، ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي . كالطبقة العاملة ، والطبقة الراقية ، والطبقة المتوسطة[2] .

ويذهب أفلاطون إلى القول بأنه ليس من الضروري ، أن يكون سكان المدينة الفاضلة متجانسين ، بل لابد أن يكون بينهم نوع من التميز الواضح ، الكفيل بتحقيق التكافل الاجتماعي بينهم . يبدو هذا التميز جليا، في تقسيمه سكان المدينة إلى ثلاث طبقات متميزة ،هي : طبقة الحكام، وطبقة المحاربين، وطبقة المنتجين .[3] وما لبث هذا اللفظ أن استعمل ، خارج المجال الاجتماعي ، على نطاق واسع ،

---

[1]- ينظر طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ( حتى نهاية اللقرن الثالث الهجري ) : د . جهاد المجالي، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط 1 - 1998 م ، ص 17 .

[2]- New Dictionary Of The History Of Ideas : Maryanne , 2 / 360

[3]- جمهورية أفلاطون : د. أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1994 م ، ص 88 .

ليشمل مختلف حقول المعرفة، بما فيها المنطق، وعلوم الحياة، وعلم النفس والأدب .

يتبين لنا ، من خلال هذا العرض ، أمران ، أولهما : أن هذه اللفظة، وردت في سياقات متعددة ، وبمعان مختلفة ، منها ما هو على سبيل الحقيقة ، ومنها ما هو على سبيل المجاز، والمنطق يقضي بأسبقية المعاني الحقيقية على المعاني المجازية . وثانيهما : أن أقرب هذه المعاني جميعا، إلى المعنى الاصطلاحي للفظة ( طبقة )، هو معنى المنزلة ، أو الدرجة ، أو الرتبة ، وربما الجيل ، بدرجة أقل .

أما طبقات الشعراء ، من حيث معناها الاصطلاحي، فهي تصنيف الشعراء ، في مجموعات محددة،بينهم قاسم فني مشترك ، لكنهم يتفاوتون - بصورة أو بأخرى من حيث الجودة ، والقيم الجمالية .

وترتكز فكرة الطبقات على أمرين : أولهما : الموازنة ، وهي بمعناها العام :" عملية ذهنية تقوم على ربط موضوع بآخر، برابط واحد، لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما ."[1] وهي ، بمعناها الخاص :" ضرب من ضروب النقد ، يتميز بها الرديء من الجيد ، وتظهر بها وجوه القوة والضعف، في أساليب البيان ، فهي تتطلب قوة في الأدب ، وبصرا بمناحي العرب في التعبير"[2]. وقد استعمل(كوندياك)، لفظ الموازنة ، عند كلامه عن إمكان الانتباه إلى موضوعين ، في آن واحد ، فقال : " إننا نستطيع أن ننتبه إلى موضوعين ، في وقت واحد، لأننا نشعر - في هذه الحالة - بإحساسين ، بدلا من إحساس واحد مانع . فليست الموازنة إذن ، إلا انتباها مزدوجا."[3]

---

[1]- المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، 2 / 405.

[2]- الموازنة بين الشعراء : زكي مبارك ، دار الجيل ، ط 1 - 1993 م ، ص 7 .

[3]- Condillac, , La logique , partie 1 , ch 7 ,p 216.

نشير هنا، إلى أنّ الطبقات تعتمد أساسا على أمرين ، أحدهما : الموازنة ، ولكي تصح الموازنة ، لا بد أن يشتمل الموضوعان المقارن بينهما ، على قدر من التقارب ، والعناصر المشتركة، وإلا فقدت الموازنة معناها .

وثانيهما : المفاضلة ، وهي ترجيح أحد الجانبين المتعارضين على نظيره ، بناء على معايير علمية وفنية، تتباين بتباين العصور .

وإذا كانت الموازنة جزءا، لا يتجزأ، من فكرة الطبقات، فإن الطبقات، أشمل من الموازنة وأعم، وإن كان كل منهما يصف الموضوعين المقارن بينهما، ويحاول الكشف عن مدى التشابه ، والاختلاف بينهما . إلا أن فكرة الطبقات، لا تقتصر على الوصف، والشرح ، والموازنة ، بل تتعدى ذلك إلى إصدار الأحكام ، وترجيح جانب على آخر، استنادا إلى أصول وضوابط متعارف عليها . فضلا عن أن مجال الاهتمام، في الطبقات، يتسع ليشمل عددا أكبر من الشعراء سواء أكانوا ينتمون إلى عصر واحد، أم إلى عصور متقاربة، أم متباعدة . بينما ليس من الضروري أن تنتهي الموازنة إلى حكم فاصل، في تفضيل شاعر على آخر .

**2.2 - العنوان وتفصيل القول فيه :**

لا يثير الكتاب جدلا بين الباحثين ، فهو يتناول عددا معلوما من الشعراء الجاهليين ، والإسلاميين ، والمخضرمين ، اختيروا عموما ، على أساس الفحولة والشهرة وأنزلوا منازلهم ، وصنفوا في طبقات ، تبعا لمقاييس محددة ، "...ففصّلنا الشعراء ، من أهل الجاهلية والإسلام ، والمخضرمين ، الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزّلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء ."[1]

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام، 1 / 23 .

وقد اشتهر كتاب ابن سلام على مرّ العصور والأجيال ، بعنوان (طبقات الشعراء) في السواد الأعظم ، من الكتب والتراجم ، سواء القديم منها والحديث . فالأنباري [ت77 هـ ] يقول: "... وأمّا أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن سالم البصري ، فكان من جملة أهل الأدب، وألّف كتابا في طبقات الشعراء"[1]، ويقول ابن النديم [ت385 هـ ] : ". ..... أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، أحد الأخباريين والرواة، وله من الكتب : كتاب بيوتات العرب، كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين. "[2]، ويقول الخطيب البغدادي [ ت 463 هـ ]:

" محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم ، أبو عبد الله ، البصري ، مولى قدامة بن مظعون الجمحي، وهو أخو عبد الرحمن بن سلام ، كان من أهل الأدب ، وصنف كتابا في طبقات الشعراء "[3]. ويقول ياقوت الحموي [ ت 626 هـ ] :

" محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي، البصري، أبو عبد الله، كان من أعيان أهل الأدب،وألّف كتابا في طبقات الشعراء "[4]، ويقول العسقلاني [ت852 هـ ]

بصدد حديثه عن أبان بن عثمان : " وأخذ عنه أبو عبيدة ومحمد بن سلام ، وأكثر عنه في طبقات الشعراء."[5]وكذلك ذكر كل من السخاوي [ ت 902 هـ ] وجلال الدين السيوطي [ت 911 هـ] هذا العنوان، فقال الأول : ".. ولأبي عبد الله، محمد بن سلام

---

[1]- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط 1998 م ، ص 141 .

[2]- الفهرست : ابن النديم، 3 / 126 .

[3]- تاريخ مدينة السلام : الخطيب البغدادي، 3 / 276 .

[4]- معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، 18 / 204 .

[5]- لسان الميزان : الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،اعتنى به الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ط 1 - 200 م ، 1 / 226 .

ابن عبد الله الجمحي..... طبقات الشعراء ."[1]، وقال الثاني : "..وأخذ عنه (يعني عن يونس بن حبيب) أيضا، وعن خلف الأحمر، أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، صاحب كتاب طبقات الشعراء ."[2]

فهذه النصوص كلها ، تنص بصريح العبارة ، على أنّ عنوان الكتاب هو : (طبقات الشعراء) ، لا ( طبقات فحول الشعراء ) . ولعل ما يؤيد هذا، أنّ تلاميذ ابن سلام، وغيرهم ، ممن حذوا حذوه، في التأليف في طبقات الشعراء، وضعوا عناوين كتبهم ، مجردة من صفة ( فحول ) [3] على غرار ما فعل كل من اليزيدي، وأبو المنعم ، وأبو حسان الزيادي، وابن المعتز، وعلي بن زين، ودعبل .[4]

ومع ذلك فإنّ لمحقق الكتاب، الأستاذ محمود محمد شاكر، رأيا مخالفا، في تسمية الكتاب[5] حيث يتمسك بالقول إنّ عنوان الكتاب ثلاثيّ ، وهو ( طبقات فحول الشعراء )، الذي وسم به طبعته الجديدة، مستندا في ذلك، إلى حجة نقلية ، مفادها أنّ ابن سلام نفسه ، صرّح ، في مقدمة كتابه بكلمة فحول ، فقال : ".. فاقتصرنا، من الفحول المشهورين،على أربعين شاعرا،فألّفنا من تشابه شعره منهم ، إلى نظرائه"[6] .وكذلك فعل صاحب الأغاني ، في معرض ترجمته لعبيد بن الأبرص ، والمخبّل السعدي ، حيث قال عن الأول : ". . شاعر فحل فصيح ، من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام ، في الطبقة الرابعة، من فحول الجاهلية ."وقال عن الثاني : "... وذكره ابن سلام ، فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ."

---

[1]- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ : الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق المستشرق فرانز روزنثال،ترجمة التحقيق د. صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت- لبنان ،ط 1 - 1986 م، ص 188 .

[2]- المزهر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار التراث- القاهرة، ط 3 ، 2 / 405 .

[3]- ينظر ابن سلام وطبقات الشعراء : منير سلطان، ص 154 .

[4]- ينظر الفهرست : لابن النديم ، في مواضع متفرقة، من الجزء الثالث .

[5]- ينظر مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر ، 1 / 138 .

[6]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 24 .

أما الحجة العقلية، فيرى الأستاذ أنّ اسم [طبقات الشعراء] " لا يطابق كتاب ابن سلام ، تمام المطابقة ، لأنّه لم يستوف فيه ذكر قدر واف ، من شعراء العربية ، بل ذكر منهم [ 114 ] شاعرا ، لا غير . والذي أغفله ، من ذكر شعراء العربية ، أضعاف أضعاف ما ذكر ."[1]

بيد أنّ عدول المحقق عن عنوان الكتاب ، الذي أجمعت عليه المصادر القديمة والحديثة ، لم يلق صدى لدى المهتمين بالدراسات الأدبية والنقدية ، بدعوى أنّ محاولة المحقق تبرير ترجيحه للعنوان الثلاثي [طبقات فحول الشعراء] ، بعدم مطابقة العنوان الثنائي [طبقات الشعراء]، لموضوع الكتاب، محاولة لا تفضي بالضرورة ، إلى إباحة الإقدام على التصرف فيه . " ولست أظنّ أنّ تبريرات الترجيح هذه ، كافية للأخذ بهذا الرأي ."[2]

وقد اعترض الأستاذ أحمد صقر، على تصرف الأستاذ شاكر في العنوان، قائلا :". . كما كنت أوثر ألاّ يغيّر اسم الكتاب ، الذي عرف به في أكثر الكتب والتراجم ، وهو [طبقات الشعراء] ، لا [طبقات فحول الشعراء ] ."[3]

من هنا، فإنّ صفة [ فحول ]، التي ورد ذكرها في طبقات ابن سلام أو في الأغاني، لا ينهض مجرد ذكرها، دليلا قاطعا، على أنّ عنوان كتاب ابن سلام ، هو [طبقات فحول الشعراء] ، لأنها ذكرت في سياق ، يفهم منه أن المراد هو المدح والإطراء ، لا إثبات العنوان .

أعتقد أن الاجتهاد الشخصي ، ليس هو السبيل الأمثل لمعرفة وجه الصواب ، في هذه المسألة ، والأولى أن ننظر فيها ، من زاوية أخرى . أعني : دور المحقق،ومهمته في التحقيق، فإذا أقررنا أنّ حدود المحقق تقف عند إخراج النص،كما كتبه صاحبه،

---

[1]- مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر، 1 / 137 .

[2]- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي : د. مصطفى مندور ، مهرجان القراءة للجميع 95 ، ص17.

[3]- مجلة الكتاب : المجلد الثاني، سنة 1953 م .

بكل أمانة، ولا تعدو ذلك إلى التصرف فيه بالزيادة أو النقصان، عندئذ تتضح الحقيقة، ويزول الخلاف .

**3.2 - طبعات الكتاب:**

**أ- طبعة يوسف هِلْ ( Joseph Hell ) :**

يرجع الفضل في طبع الكتاب، لأول مرة، إلى المستشرق الألماني (هِلْ) الذي تولّى نشره، بمطبعة بريل، سنة [1913 - 1916 م ]، في ليدن، استنادا إلى نسختين من كتب شيخ العربية محمد محمود الشنقيطي، إحداهما محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم 36 - أدب - ش، كتبت في سنة 1303 هـ نقلا عن نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف بك، بالمدينة المنورة ، والأخرى منقولة عنها أيضا كتبت سنة 1310 هـ ، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم 37 - أدب - ش ،[1]

وهذه الطبعة في الحجم المتوسط ، عدتها 154 صفحة، تضم كل صفحة 22 سطرا ، وقد تم فيها شكل كثير من الأعلام ، وأبيات الشعر، والألفاظ الواردة فيها، فضلا عن احتوائها على فهرس الأعلام ، وفهرس القبائل ، وفهرس المواضع ، وفهرس القوافي ، وفهرس موضوعات الكتاب . وأهم من هذا، مقدمة كتبها، بالألمانية، وتولى ترجمتها إلى العربية د . محمد عبد اللطيف هاشم ، الأستاذ بكلية العلوم ، بجامعة الإسكندرية .[2]

وبعد أن أبدى ( هِلْ )، في هذه المقدمة، إعجابه بالعنعنة، التي اعتمدها ابن سلام في ' طبقاته '، وأشاد بحرصه على التسلسل فيها، تطرق إلى الإفصاح عما أثاره الكتاب في نفسه من قلق، مصدره أنّ ابن سلام، أورد في مقدمة كتابه نصا يوحي بأنّ الكتاب سيبنى على ثلاثة أقسام : قسم للجاهليين، وقسم للإسلاميين، وقسم للمخضرمين ، والنص هو قول ابن سلام: "..ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية

---

[1]- ينظر تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، 2 / 414 .

[2]- ينظر ابن سلام وطبقات الشعراء : منير سلطان ، ص 159 .

والإسلام ، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ."[1]

ولكن ابن سلام لم يلتزم بهذا التقسيم الثلاثي، وإنما ألحق قسم المخضرمين إما بطبقات الجاهليين، وإما بطبقة الإسلاميين .

ولم يفت المحقق أن يشير إلى ما ذكره صاحب الفهرست، في معرض ترجمته لابن سلام أنّ لابن سلام عملين منفصلين، حيث قال :" ..وله من الكتب. ... كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين ."[2] بينما لا يوجد في النصوص التي بين أيدينا سوى عمل واحد . ومن ثم ، فشك المحقق، ومن تبعه من النقاد والأدباء المعاصرين، في أن يكون ابن النديم قد أشار، بقوله هذا، إلى أنّ لابن سلام كتابين منفصلين، موسومين بعنوانين مختلفين، يبقى شكا مشروعا، لا يبدده القول بأن- ابن النديم ربما أراد بكلمة (كتاب) ما كان يطلق عند القدماء، على رؤوس الأبواب، لأنّ ابن النديم يميز بوضوح تام بين (الكتاب)، بمعنى الباب، و(الكتاب) بمعنى السفر،وهو غالبا ما يستعمل كلمة ( كتاب )للدلالة على السفر، وكلمة (باب) للدلالة عل الباب كقوله، حين ذكر مؤلفات ابن قتيبة - على سبيل المثال، لا الحصر- :". . كتاب الفرس : ستة وأربعون بابا، كتاب الإبل : ستة عشر بابا، كتاب الحرب : عشرة أبواب، كتاب القدور : عشرون بابا، كتاب الديار : عشرة أبواب ."[3] فلو كان مراده، في ترجمته لابن سلام، التعبير عن ( الباب ) بـ (الكتاب ) لقال أيضا: كتاب أصحاب المراثي، كتاب شعراء القرى العربية، كتاب شعراء اليهود، إلخ.. وأشار المحقق كذلك إلى أنّ مقدمة ابن سلاّم خلت من ذكر طبقة أصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء اليهود، ولم يرد لها ذكر في المقدمة على غرار طبقات الجاهليين، وطبقات الإسلاميين.

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 23 .

[2]- الفهرست : ابن النديم، 3 / 126 .

[3]- المصدر نفسه : 2 / 85 .

كما لم يفته - على عادة المستشرقين بعامة - أن يشكك في نسبة الكتاب إلى ابن سلام ، مقررا أنه ليس من السهل تحديد مدى صحة نسبة ' الطبقات ' إلى ابن سلام، ولا تحديد المدى الذي ينتهي عنده تصرف أبي خليفة، راوية الكتاب، في الكتاب نفسه، حتى آل إلى صورته الحالية .[1]

ثم عرج على ذكر ما ورد في بعض كتب الأدب، من أخبار منسوبة إلى ابن سلام، ولكنها لا توجد في كتابه . منها ما رواه صاحب الأغاني ، في ترجمته لدريد بن الصمة، فقال : " وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان "[2].

وما رواه ، في ترجمته لخفاف بن ندبة ، فقال : " وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الفرسان، مع مالك بن نويرة ."[3]

**ب- طبعة دار المعارف :**

على الرغم من منهجية ابن سلام، وموضوعية المفاهيم التي بنى عليها كتابه في تصنيف الشعراء، فإنّ كتابه ' طبقات الشعراء ' لا يخلو من تعقيدات وفجوات، قد تكون بسبب ظروف النقل السيئة التي مر بها، أو بسبب أن يكون مضمونه قد طرأ عليه تحوير على يد النساخ لسبب أو لآخر، وضاعت منه بعض أجزائه، لاسيما أنّ راوي الكتاب أبا خليفة [ ت 335 هـ ] كان كفيفا، وأنّ الكتاب طبع بعد عشرات السنين من وفاة مؤلفه .[4]

ولعل هذه الأسباب مجتمعة، هي التي حملت الأستاذ محمود محمد شاكر على الاضطلاع بتحقيق الكتاب من جديد، وإخراجه " في ثوب جديد، منمقا، مزدانا

---

[1]- ينظر مقدمة ( هِلْ ) على طبقات الشعراء لابن سلام : دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط 1916 م، ص 9

[2]- الأغاني : الأصفهاني، 10 / 5 .

[3]- المصدر نفسه، 18 / 53 .

[4]- ينظر مقدمة ( هِلْ ) على طبقات الشعراء، ص 4 .

بالاطلاع الغزير والثقافة المتنوعة، ترف عليه روح العلماء وتواضعهم ."[1] اجتهادا منه في سد ما فيه من فجوات، وإكمال ما فيه من نقص، فأصدر في القاهرة، طبعة جديدة سنة 1952 م ، عن دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، واسما إياها بعنوان جديد هو ' طبقات فحول الشعراء '، جاعلا إسنادها إلى كل من أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، الذي ولد في طبرية بالشام ، سنة 260 هـ، وتوفي بأصبهان سنة 360 هـ، وروى عن أبي الفضل الجمحي . وأبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أسيد، وهو من محدثي أصبهان، وتوفي سنة 336 هـ .[2]

وأرفق الكتاب بمقدمة قارن فيها بين إسناده، وبين إسناد يوسف هِلْ، واجتهد في محاولة إيجاد الحلول المناسبة للإشكاليات ، التي أثارها هِلْ ، وانتقد انتقادا دقيقا استنتاجاته المستخلصة .

واستهل الأستاذ محمود محمد شاكر هذه الطبعة، بمقدمة مطولة، بسط فيها وجهة نظره في جملة من المفاهيم النقدية ، الواردة في كتاب ابن سلام ' طبقات فحول الشعراء '. وأهم ما ورد فيها :

O- إنّ لكلمة ( طبقة ) معاني شتى ، في كتب التراث العربي ، لعل أبرزها : المرتبة أو المنزلة . وهذا المعنى هو الذي يتبادر إلى الذهن ، حين نقرأ هذه الكلمة ، في كتاب ابن سلام : ".. ففصلنا الشعراء ، من أهل الجاهلية والإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ."[3]

ويقول في حديثه عن الأسود بن يعفر، من الطبقة الخامسة من طبقات الجاهليين : " وله واحدة رائعة طويلة ، يشير إلى داليته التي مطلعها :

---

[1]- ابن سلام وطبقات الشعراء : منير سلطان، ص 161 .

[2] - ينظر مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر ، ص 79 .

[3]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 23 .

[ نَامَ الخَلِيُّ ، وَمَا أُحِسُّ رُقَادِي ، وَالهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسَادِي ] . لو شفعها بمثلها، قدمناه على مرتبته."[1]

فهذان النصان ، صريحان في الدلالة على أن قصد التفضيل بين الشعراء ، وتقديم بعضهم على بعض ، وفق المعايير التي حددها ابن سلام ، كان حاضرا في ذهنه .

لكن الأستاذ شاكر ينفي ، نفيا صريحا ، أن يكون ابن سلام قد قصد بكلمة (طبقة ) المنزلة أو المرتبة ، على غرار ما فعله معاصروه ، وسابقوه من جعل الطبقات فئات مرتبة ترتيبا تفضيليا ، أو زمنيا ، حيث يقول : " ولكن ما أقطع به هو أنّ ابن سلاّم لم يرد بقوله ( طبقة ) ما يهجم على الخاطر، من معنى المرتبة أو المنزلة، ولم يرد ما أراده غيره ، في زمانه ، وبعد زمانه، في كتب ألّفوها ، وسموها ( الطبقات ) ."[2]

ويذهب الأستاذ مذهبا مغايرا لما درج عليه الباحثون ، في فهم مراد ابن سلام من كلمة (طبقة ) ، مذهبا مؤداه ، أن التشابه الذي جعله ابن سلام أساسا للجمع بين شعراء الطبقة الواحدة ، إنما هو المذهب الشعري ، أو طريقة النظم . وبناء على هذا، يكون معنى [ عشر اطبقات ] عند ابن سلام : عشرة ضروب ، أو مناهج قول . يقول الأستاذ شاكر ، معلقا على قول ابن سلام : [. . .فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فألّفنا من تشا به شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين ][3]، يقول : " فبدا لي أنّ معنى هذا التشابه هو أساس نظر ابن سلام ، ولا يتشابه شاعران إلا في شيء واحد ، هو مذهبهما في الشعر، أو منهجهما الذي يتميز به كل واحد منهما ، ويكاد يكون رأسا فيه ، فلما قال بعد ذلك : [ فوجدناهم عشر طبقات ]، رأيته لا

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 23 .

[2]- مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر، 1 / 69 .

[3]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 24 .

يكاد يكون له معنى حتى يكون معنى ذلك : فوجدناهم عشرة مذاهب أو عشرة مناهج من مذاهب الشعر ومناهجه."[1]

وكأني بالأستاذ شاكر حاول أن يجد مخرجا للغموض الذي يشوب مفهوم التشابه الذي يقصده ابن سلام، وهو تشابه، لم يُفْصَل القول فيه .

ومن ثم ، " تظل وجوه الشبه هذه غامضة ، إذا نظرنا إلى الشعراء الذين تضمهم كل طبقة ، فهناك مفارق واضحة في المنهج الشعري بين كثير منهم ."[2]

o- بالنظر إلى ما يحتوي عليه كتاب طبقات فحول الشعراء، من نقص وخرومات كثيرة اجتهد الأستاذ شاكر في إيجاد حلول مناسبة لإشكالية الخرومات هذه، مستهدفا إخراج الكتاب في صورة مرضية، فعمد إلى سد هذه الخرومات بإضافة نصوص منسوبة إلى ابن سلام في مصادر مختلفة ، غير طبقات فحول الشعراء ، ونقل منها ما رآه يفي بالغرض . يقول في ذلك : " ولما رأيت المطابقة الصحيحة بين ما كان في أصل الطبقات ، وما جاء في كتاب الأغاني ، استبحت لنفسي ، في الطبعة الأولى ، أن أزيد في مواضع الخرم ، من نسختي المخطوطة ، أخبارا نقلتها من الأغاني بأحد أسانيده الثلاثة عشر ، المذكورة آنفا ، وزدتها أيضا على نسخة المدينة التي طبع عنها ما طبع من الطبقات ."[3] وجاءت هذه الزيادات على النحو الآتي :[4]

| المصادر المنقول منها | عدد الأخبار المنقولة | عدد الأسطر المنقولة |
|---|---|---|
| الأغاني | 21 | 214 |
| الأمالي | 12 | 73 |

[1]- مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر، 1 / 68 .

[2]- التراث النقدي ( نصوص ودراسة ) : د. رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 1990 م ، ص 163 .

[3]- مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر، 1 / 43 .

[4]- المصدر نفسه، ص 85 .

| | | |
|---|---|---|
| نهج البلاغة | 01 | 12 |
| تاريخ دمشق | 01 | 04 |
| الشعر والشعراء | 01 | 01 |
| الموشح | 01 | 03 |

ولكن هذا الصنيع لم يلق صدى لدى كثير من أهل الفضل من العلماء، على حد تعبير الأستاذ شاكر، فوجهوا إليه بعض الانتقادات والمآخذ، منها القول بأنه : " ليس من علم التحقيق أن ننقل إلى الكتاب الذي نحققه مادة غزيرة من كتب أخرى، لا نملك الدليل القاطع على أنها من الكتاب المحقق لفظا ومعنى ."[1] ومنها ما صيغ في صورة جملة من الأسئلة المشروعة، مثل :

" هل قال الزجاجي مثلا، في ذلك الخبر الذي نقله عنه الأستاذ [ ص545- 548] : إنه قد نقله من طبقات الشعراء ؟، وهل زعم صاحب الأغاني أنّ كل رواياته عن ابن سلام التي نقلها الأستاذ، هي من كتاب الطبقات ؟

وهل تيقنّا أنّ هذه النصوص ليست من كتاب آخر من كتب ابن سلام المدونة ؟

وهل علمنا أنّها لم تؤخذ عن ابن سلام في أحاديثه ودروسه ؟

وهل لدينا أثارة من علم تدلنا على أنّ ابن سلام لم يعرض للشعراء الذين ذكرهم في الطبقات بعد ذلك، بأي لون من ألوان الذكر، حتى نقول : إنّ كل ما روي عنهم من سيرهم وقريضهم هو منه ؟ "[2]

ويضيف أحمد صقر قائلا : "من أجل ذلك كله ، كنت أوثر ألاّ يضعها الأستاذ في صلب الكتاب ، بل يلحقها بآخره ، مع الإشارة إلى أماكنها التي يراها مناسبة لها ."[3]

وعلى الرغم من وجاهة هذه الأسئلة ، فإنّ المسألة عند الأستاذ شاكر، تتجاوز علم التحقيق ، وحدود تصرف المحقق . يقول : ولم أذكر ما فعلته من المراجعة لأني

---

[1]- مجلة المورد : علي جواد الطاهر، المجلد 8، العدد 3، ص 41 .

[2]- مجلة الكتاب : السيد أحمد صقر، المجلد 12، سنة 1953 م، ص 379 .

[3]- المصدر نفسه .

بالطبع لست أتبع «أصول المنهج العلمي » ، ولا فصول «علم التحقيق »، لكي أملأ هوامش الكتاب بعلم فياض ."[1]

ومن ثم ، فنحن أمام أمرين : أحدهما سهل يسير، لا يتطلب جهدا واجتهادا فحسبنا أن نأخذ الكتاب كما هو، على ما يعتريه من خلل ونقص .

والثاني شاق مرهق يضع الخائض فيه أمام مسؤولية جسيمة أقل ما تقتضيه العلم والاجتهاد في كشف الصورة الصحيحة لكتاب ابن سلام .

والأستاذ شاكر قد اختار الأمر الثاني، وهو محق في ذلك، فيقول : " ومن أجل ذلك ، رأيت أنّ الذي فعلته ليس عيبا فادحا في عملي ، لأنّ ما في الأغاني هو بيقين، من كتاب الطبقات ، ووضعي إيّاه اجتهادا ، في موضع من الكتاب ، ربما أصاب موضعه من أصل ابن سلام ."[2]

**4.2 - تقييم الكتاب :**

على الرغم من منهجية ابن سلام ، وموضوعية الأسس التي بنى عليها مفاهيمه النقدية ، فإنّ ' طبقاته ' لم يسلم من انتقادات بعض النقاد المحدثين ، وإن لم تراع هذه الانتقادات إطار العصر الذي ألّف فيه ابن سلام كتابه ، ولم تضع في حسبانها تلك الفترة المبكرة .

من هذه الانتقادات، ما ذهب إليه طه حسين ، من أنّ ابن سلام - وهو يقرر نظرية الشعر الموضوع - قد وقع في ما عابه على ابن إسحاق، فأضاف إلى بعض الجاهليين من الشعر ما ليس لهم ، فقال [ طه حسين ] : " زعم ابن سلام أنّه يستطيع أن يروي لنا شيئا من أولية الشعر العربي ، فيروي أبياتا تنسب لخذيمة الأبرش ، وأخرى

[1]- مقدمة طبقات فحول الشعراء : شاكر، 1 / 110 .

[2]- المصدر نفسه، ص 21 .

تنسب لزهير بن جناب ، ونحو هذا. . وسترى أننا نحن لا نستطيع أن نقبل هذا الشعر، كما أنّ ابن سلام لم يستطع أن يقبل شعر عاد وثمود ."[1]

أما حسن عبد الله شرف، فقد حاول الدفاع عن ابن سلام ، اذ استبعد وقوعه في مثل هذه الأخطاء ، ورجح أن يكون ما ورد في كتابه : طبقات فحول الشعراء من أشعار ركيكة تنسب إلى بعض شعراء الجاهلية ، من فعل النساخ ، فقال : " فأغلب الظن أنّ هذه الأبيات أقحمت على كتاب ابن سلام إقحاما ، من الناسخ ، سيما وأنّ راوي الكتاب ، أبو خليفة الجمحي، كان كفيفا ."[2]

ويعتقد بعض النقاد المحدثين كذلك ، أنّ في التقسيم العددي ، الذي اعتمده ابن سلام ، نوعا من التضييق والتكلف ، وهو لايتفق مع القسمة الفنية إذ "ليس من الممكن بحال ، أن نعرف من الفوارق بين الشعراء ما يمهد لنا أن نوزعهم على طبقات عشر، والخصائص الفنية دقيقة متموجة ، لا تطيع الباحث إلى هذا المدى ."[3]

ويأخذ محمد مندور على ابن سلام ، تلك الأسس التي وضعها للمفاضلة بين الشعراء لاسيما تقديمه مقياس الكثرة على الجودة ، وتعدد الأغراض الشعرية على التوفر على الفن ، قائلا : " ففي ظننا ، أنه من الواضح أنّ الكم ليس مقياسا صحيحا لقيم الشعراء ."[4]

وهذا صحيح ، لأنّ الكثرة على إطلاقها ، لا تغني عن الجودة الفنية شيئا ، فمن غير المستساغ نقديا ، تقديم شاعر لكثرة شعره المتوسط ، أو الرديء حتى. . على شاعر مقلّ مجيد .

ولئن كان الدكتور محمد مندور قد صدر، في وجهة نظره هذه ، عن حس نقدي سليم ، فإنّ حكمه بأنّ ابن سلام لم يتقدم بالنقد الفني شيئا كبيرا[5] لا يخلو من

---

[1]- في الأدب الجاهلي : د . طه حسين ، القاهرة ، ط3- 1933 م ، ص 131 .

[2]- النقد في العصر الوسيط : حسن عبد الله شرف، ص 138 .

[3]-تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه إبراهيم ، ص 71 .

[4]- النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ، ص 21 .

[5]- ينظر المصدر نفسه : ص 22 .

قسوة في الحكم إلا إذا كان يريد أنّ نصيب ابن سلام من التحليل الفني للنصوص الشعرية ، أضعف من تحليله العلمي لها .

ومن المآخذ على ابن سلام أيضا ، أنه أحيانا ، يثير قضايا ، أو يستعرض آراء غيره ، دون تعليل أو تحليل ، كقوله ، عن قيس بن الخطيم ، على سبيل المثال : " قيس بن الخطيم شاعر، فمن الناس من يفضله على حسان شعرا ، ولا أقول ذلك ."[1] وقوله :" والمقدم عندنا متمم بن نويرة ."[2]

كما أنه أقصى من طبقاته شعراء لا يستهان بمقدرتهم الشعرية ، وسمو مكانتهم ، كعمر بن أبي ربيعة ، والكميت بن زيد الأسدي، فضلا عن زحزحته كلاّ من عمرو بن كلثوم ، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة ، وهم من أصحاب المعلقات ، إلى الطبقة السادسة .[3]

ومن الإنصاف القول بأنّ هذه المآخذ لا تبدو شيئا ، بالقياس إلى الإيجابيات الواردة في الكتاب ، ولا تقلل من قيمته الفنية والتاريخية، فهو ليس جمهرة للآراء النقدية في حقبة معينة من تاريخ النقد الأدبي عند العرب فحسب، بل هو كذلك، سجل لترجمة العديد من الشعراء وذكر أخبارهم .

يضاف إلى ذلك تلك الروح العلمية التي تهيّأت لابن سلام في محاولته تفسير الظواهر الأدبية : كحديثه عن شعراء القرى العربية وإفرادهم بطبقة مستقلة[4]، وتعليله قلّة الشعر في كلّ من مكّة وعمان والطائف، وكثرته بالمدينة والبحرين ،[5] وحديثه عن شعراء المراثي الذين تخصصوا بفن خاصّ من فنون الشعر، فأفردهم بطبقة مستقلة أيضا ، وجعل إمامهم بدون منازع ، متمم بن نويرة .[6]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام، 1 / 228 .

[2]- المصدر نفسه، ص 204 .

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص 151 .

[4]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام، 1 / 215 .

[5]- ينظر المصدر نفسه : ص 259 .

[6]- ينظر المصدر نفسه : ص 203 .

كما يرسم لنا ابن سلام في ' طبقاته ' صورة واضحة المعالم للمراحل التي مرّ بها النقد الأدبي عند العرب، حتى أوائل القرن الثالث الهجري .

ويمكن إجمال هذه المراحل في الآتي :

- المرحلة الأولى : وهي أقدم المراحل من حيث الزمن ، حيث كان الناقد فيها يقنع بإرسال أحكام نقدية عامة دون تبرير أو تعليل .

- المرحلة الثانية : وفيها بدأت تظهر باحتشام ، بوادر الحكم النقدي ، وردّه إلى أسباب ترتبط ارتباطا مباشرا بالنص الشعري أو بالشاعر.

- المرحلة الثالثة : وفيها نلمس بوضوح ، بداية النقد المنهجي المنظم جنبا إلى جنب مع النقد الفني ، والنقد اللغوي ، والنقد التوثيقي .

وهكذا يبقى ' الطبقات ' - بحق - أهم ما كتب في النقد العربي في عصر ابن سلام ، "ويبقى صاحبه من أجلاّء النقاد صحة ذهن ، ونفاذ بصيرة بما بسط من القول ، وأوضح من الدلائل ، وبين من العلل ."[1]

[1]- النقد في العصر الوسيط : حسن عبد الله شرف، ص 163 .

## الفصل الثالث: المنهج النقدي لابن سلام في 'الطبقات'

1.3 - الخطة العامة لمحتوى الكتاب .

2.3 - خطوات المنهج وأسس التقسيم الطبقي .

3.3 - المقاييس النقدية في ' الطبقات ' .

### 1.3- الخطة العامة لمحتوى الكتاب :

يكتسي ' طبقات الشعراء ' لابن سلام الجمحي أهميته من كونه أقدم كتاب، تناول النقد المنهجي بصورة مستقلة ، وضم العديد من الآراء النقدية لمن سبقوا ابن سلام أو عاصروه ، إذ قام بمحاولة جادة تمثلت في جمع شتات آراء سابقيه، ومعاصريه في النقد العربي، ومنحها شكلا جديدا، ووسع فيها ، أو غيّر بعض التغيير، في مدلولها ، ونظّمها تنظيما علميا .[1]

والمتتبع للقضايا النقدية التي أثارها ابن سلام في ' طبقاته ' يخرج بتصور واضح عن المنهج الذي اعتمده في المفاضلة بين الشعراء ، وتصنيفهم في طبقات يفضل بعضها بعضا ، وفق مفهومه لنظرية الشعر . ويمكن إجمال الخطة العامة لمحتوى الكتاب في الآتي :

- **المقدمة :** تناول فيها جملة من القضايا النقدية ، أهمها :

1- الشعر: مفهومه - طبيعته - عُدّة الناقد .
2- نقد الرواية وتحقيق النصوص - قضية الانتحال وأسبابها .
3- نشأة علوم العربية وتطورها .
4- اللحن والقراءات .

[1]- مجلة الثقافة : محمد علي دقة، العدد 8، فبراير / مارس 1990 م، ص 31.

## ○- طبقات فحول الجاهلية :

| الطبقة الأولى | الطبقة الثانية | الطبقة الثالثة | الطبقة الرابعة | الطبقة الخامسة |
|---|---|---|---|---|
| 1- امرؤ القيس .<br>2- النابغة الذبياني.<br>3- زهير بن أبي سلمى<br>4- الأعشى . | 1- أوس بن حجر<br>2- بشر بن أبي خازم.<br>3- كعب بن زهير.<br>4- الحطيئة . | 1- النابغة الجعدي.<br>2- أبو ذؤيب الهذلي.<br>3- الشماخ بن ضرار.<br>4- لبيد بن ربيعة. | 1- طرفة بن العبد .<br>2- عَبيد بن الأبرص.<br>3- علقمة بن عَبَدة.<br>4- عديّ بن زيد. | 1- خداش بن زهير .<br>2- الأسود بن يعفر .<br>3-المخبّل السعدي.<br>4- ابن مقبل. |
| الطبقة السادسة | الطبقة السابعة | الطبقة الثامنة | الطبقة التاسعة | الطبقة العاشرة |
| 1- عمرو بن كلثوم .<br>2- الحارث بن حلّزة .<br>3- عنترة بن شداد .<br>4- سويد بن أبي كاهل. | 1- سَلامة بن جَندل .<br>2- حُصَيْن بن الحُمام .<br>3- المتلمّس .<br>4- المسيّب بن عَلَس . | 1- عمرو بن قَمِيئة .<br>2- النمر بن تولب .<br>3- أوس بن غَلْفَاء .<br>4- عوف بن عطية . | 1- ضابئ بن الحارث<br>2- سويد بن كُراع<br>3- الحويدرة .<br>4- مُحَيْم عبد بني الحَسْحاس . | 1- أمية بن حرثان .<br>2- حُرَيْث بن مُحَفِّظ.<br>3- الكميت بن معروف<br>4 - عمرو بن شأس. |

## ○- طبقة أصحاب المراثي :

| |
|---|
| 1- متمم بن نويرة . |
| 2- الخنساء . |
| 3- أعشى باهلة . |
| 4- كعب بن سعد الغَنَويّ . |

## ○-طبقة شعراء القرى العربية :

| ش. المدينة | ش. مكة | ش. الطائف | ش. البحرين |
|---|---|---|---|
| 1- حسان بن ثابت<br>2- كعب بن مالك<br>3- عبد الله بن رواحة<br>4- قيس بن الخطيم<br>5- أبو قيس بن الأسلت | 1- عبد الله بن الزبعرى<br>2- أبو طالب بن عبد المطلب<br>3- الزبير بن عبد المطلب<br>4- أبو سفيان بن الحارث<br>5- مسافر بن أبي عمرو *<br>6- ضرار بن الخطاب الفهري<br>7- أبو عزة الجمحي<br>9- الممزق *10- هبيرة بن أبي وهب المخزومي | 1- أبو الصلت بن أبي ربيعة<br>2- أمية بن أبي الصلت<br>3 - أبو مِحجن الثقفي<br>4- غِيلان بن سَلَمَة<br>5- كِنانة بن عبد ياليل* | 1- المثقب العبدي<br>2- الممزّق العبدي<br>3- المُفَضَّل النُّكْرِيّ |

○- **طبقة شعراء يهود :**

| |
|---|
| 1- السموأ ل |
| 2- الربيع بن أبي الحُقَيْق |
| 3- كعب بن الأشرف[1] |
| 4- شُرَيْح بن عمران |
| 5- سَعْيَة بن العَرِيض |
| 6- أبو قيس بن رِفاعة |
| 7- أبو الديّال |
| 8- درهم بن زيد |

○- **طبقات فحول الإسلام :**

| الطبقة الأولى | الطبقة الثانية | الطبقة الثالثة | الطبقة الرابعة | الطبقة الخامسة |
|---|---|---|---|---|
| 1- جرير | 1- البَعِيث المُجَاشِعيّ | 1- كعب بن جُعَيْل | 1- نَهْشَل بن حَرِيّ | 1- أبو زبيد الطائيّ |
| 2- الفرزدق | 2- القُطاميّ | 2- عمرو بن أحمر الباهلي | 2- حُمَيْد بن ثور | 2- العُجَيْر السَّلُوليّ |
| 3- الأخطل | 3- كثيّر | 3- سُحَيْم بن وثيل | 3- الأشهب بن رُمَيْلَة | 3- عبد الله بن هَمَّام |
| 4- الراعي | 4- ذو الرّمّة | 4- أوس بن مَغْراء* | 4- عمربن لَجَأ | 4- نُوَيْفِع بن لَقِيط |
| **الطبقة السادسة** | **الطبقة السابعة** | **الطبقة الثامنة** | **الطبقة التاسعة** | **الطبقة العاشرة** |
| 1- ابن قيس الرُّقَيَّات | 1- المتوكّل اللّيثيّ | 1- عَقِيل بن عُلَّفَة | 1- الأَغْلَب العِجْليّ | 1-مُزاحِم بن الحارث |
| 2-الأحوص الأنصاري | 2- ابن مُفَرّغ | 2- بَشَامَة بن الغَدير | 2- أبو النجم العجلي | 2- يزيد بن الطَّثْرِيَّة |
| 3- جميل بن مَعْمَر | الحِمْيَرِيّ | 3- شَبِيب بن البرصاء | 3- العَجّاج | 3- أبو داود الرُّؤَاسِيّ |
| 4- نُصَيْب | 3- زيادة الأعجم | 4- قُراد بن حَنَش | 4- رُؤْبَة بن العجّاج | 4- القُحَيْف العُقَيْليّ |
| | 4- عديّ بن الرِّقَاع | | | |

* - الشعراء المشار إليهم بعلامة[ * ]، ذكرهم ابن سلام، ولم يترجم لهم .

يلاحظ أنّ ابن سلام لم يتقيّد بالتقسيم الرباعي لشعراء الطبقة الواحدة، في كل من طبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء يهود .

يمكن من خلال هذا العرض العام لمحتوى كتاب ابن سلام أنْ نستخلص المنهج الذي سلكه ، في تأليف ' طبقاته '، حيث استهلّه بمقدمة ، عرض فيها لجملة من القضايا النقدية التي شغلت بال المهتمين بالدراسات الأدبية والنقدية وقتئذ، ثم بنى متنه على قسمين كبيرين : تناول في القسم الأول طبقات الشعراء الجاهليين ، وفي القسم الثاني طبقات الشعراء الإسلاميين ، وعدة كل قسم أربعون شاعرا، موزعين على عشر طبقات ، في كل طبقة أربعة شعراء فحول . يقول ابن سلام : " . . فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألّفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط كلّ طبقة ، متكافئين معتدلين "[1]

ويتخلل هذين القسمين الكبيرين ثلاث طبقات، هي : أصحاب المراثي[2]، وتلي الطبقة العاشرة من طبقات الجاهليين ، وطبقة شعراء القرى العربية .[3] [ المدينة - مكة - الطائف - البحرين ] ، وطبقة شعراء يهود[4] .

### 2.3 - خطوات المنهج وأسس التقسيم الطبقي .

لقد اتبع ابن سلام في تأليف كتابه ، خطوات محددة ، هي :

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 24.

[2]- ينظر المصدر نفسه، ص 203.

[3]- ينظر المصدر نفسه، ص 215.

[4]- ينظر المصدر نفسه، ص 279.

**أ- التبويب والترتيب :**

لعل أول ما يسترعي الانتباه في منهجه النقدي، عنايته الفائقة بالترتيب والتبويب، وحرصه الشديد على البدء بعرض تصوره للمسألة موضع البحث، قبل أن يتناولها بالتفصيل، كأن يقول في المقدمة : ".. فاقتصرنا، من ذلك، على ما لا يجهله عالم ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر ."[1] ويقول : " ثم إنا اقتصرنا - بعد الفحص ، والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم - إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد ."[2] ويقول أيضا : " ففصلنا الشعراء، من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ."[3] فهو يحدد موضوع البحث، أولا [ إنزال الشعراء منازلهم ]، أي : تقييم إنتاجهم الشعري، ثم تصنيفهم في طبقات، تبعا لموقفه المعياري من الشعر .

ففي هذا المقتبس بيان صريح لمرجعية ابن سلام، في أفكاره النقدية، وتتمثل هذه المرجعية في أمرين، الأول : الفحص والنظر، اعتمادا على ملكته النقدية في التذوق الجمالي للنص الشعري . والثاني : الأخذ بآراء شيوخه، وإجماع من سبقه من العلماء الموثوقين .

ولم يقصر ابن سلام العرض الإجمالي على المقدمة ، بل التزم به في متن الكتاب أيضا، حيث نجده كلما أراد الحديث عن الطبقة الواحدة ، قدم لها بذكر شعرائها، ذكرا إجماليا مرتبا ، كأن يقول عن الطبقة الأولى ، من طبقات الجاهليين : " امرؤ القيس ابن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 3 .

[2]- المصدر نفسه، ص49.

[3]- المصدر نفسه، ص 23.

يعرب بن مُرَتِّع بن معاوية بن كندة . ونابغة بني ذبيان، واسمه زياد بن معاوية بن ضِبَاب بن جابر بن يربوع ابن غيظ **بن مرة بن** عوف بن سعد بن ذبيان، ويكنى أبا أمامة . وزهير بن أبي سُلمى- واسم أبي سلمى ربيعة - بن رباح بن قُرْط بن الحارث بن مازن ابن ثعلبة بن ثور بن هُذْمة بن لاطِم بن عثمان بن مزينة .

- والأعشى، وهو ميمون بن قيس بن جَنْدل بن شَرَاحيل بن عوف بن سعد بن بضيعة بن قيس بن ثعلبة، ويكنى أبا بصير. "[1]

وهكذا يفعل في باقي الطبقات، فيقدم الاسم الذي اشتهر به الشاعر أولا، فإن لم يجد ، ذكر اسمه مجردا ، ثم أتبع ذلك بذكر اسمه الحقيقي وكنيته ، وينتهي بذكر سلسلة نسبه وبعد ذلك كله ، يشرع في تفصيل القول في كل شاعر ، وفق الترتيب الذي وضعه ، ويذكر أخباره وبعض أشعاره .

**ب- تعليل الظواهر الأدبية :**

على الرغم من أنّ النصوص النقدية المأثورة ، قبل ابن سلام، تنم عن قدرة عجيبة لهؤلاء النقاد، على إدراك مواطن الجمال في الشعر، وتمييز مواطن الضعف فيه، وليس لهم من عدة سوى السليقة والذوق الفطري السليم ، على الرغم من ذلك، كانوا يفتقرون إلى التعليل المفصل للأحكام النقدية التي يرسلونها ، نظرا لأنهم " لم يكونوا قد وضعوا بعد، شيئا من مبادئ العلوم اللغوية المختلفة ، التي لم تدون إلاّ في العصر العباسي ."[2]

أما في عصر ابن سلام ، فالأمر مختلف، إذ اتسعت آفاق المعرفة ، واكتمل تدوين مبادئ العلوم ، ولم يعد العقل الناضج يقنع بالأحكام النقدية غير المشفوعة بالتعليل والتحليل وذكر الأسباب والحيثيات . لذلك فابن سلام ، حين يعالج الظواهر

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 51

[2]- النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور، ص 17.

الأدبية ، لا يكتفي بوصفها والتنبيه عليها ، بل يعمد - على العموم - إلى تفسيرها وتعليلها .

يتضح ذلك في رده ظاهرة ندرة الشعر، في بعض القرى العربية، إلى عامل السلم والاستقرار، ورده كثرة الشعر، في بعض القرى العربية الأخرى، إلى كثرة الحروب، وعدم الاستقرار . حيث يقول :" وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب ، التي تكون بين الأحياء ، نحو : حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذي قلل شعر قريش أنّه لم تكن بينهم نائرة ولم يحاربوا ، ذلك الذي قلل شعر عمان ، وأهل الطائف في طرف ."[1]

ويتضح أيضا، في انتقاده لابن إسحاق ، الذي " كان ممن أفسد الشعر وهجنه، وحمل كل غثاء منه "[2]، على حد تعبيره ، وتصديه لما رواه من أشعار مفتعلة، نسبها إلى أناس ضاربين في القدم ، ولم يقولوا شعرا في حياتهم ، وربما لم يوجدوا أصلا .

ويشرع في دحض رواياته بأدلة نقلية ، متسائلا : " أفلا يرجع إلى نفسه ، فيقول : من حمل هذا الشعر، ومن أداه منذ آلاف السنين؟ والله تبارك وتعالى يقول :﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3]، أي لا بقية لهم. وقال تعالى أيضا :﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[4]، وقال تعالى في عاد : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[5]. وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾[6]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 259.

[2]- المصدر نفسه، ص 7.

[3]- سورة الأنعام .

[4]- سورة النجم .

[5]- سورة الحاقة .

[6]- سورة الفرقان.

ومن ثم ، فالشعر العربي جاء بلغة تختلف، كل الاختلاف عن لغة أهل اليمن، فلا يعقل أن يقولوا الشعر بلغة غير لغتهم . ويستدل على ذلك بقول أبي عمرو بن العلاء : [ ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم، بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا ] . فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهنه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق ، أو مثل ما روى الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم ."[1]

ويخلص ابن سلام إلى رفض الشعر الذي يرويه رواة السير والمغازي ، بدعوى أنه شعر " مصنوع مفتعل موضوع لا خير فيه ، ولا حجة في عربيته ، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحد - إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة ، على إبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي ."[2]

فابن سلام لم يكتف بالاستدلال التاريخي لبيان زيف هذه الأشعار، بل تعداه إلى الاستدلال الفني، فعرض لبيت مصنوع ، منسوب إلى عباس بن مرداس السلمي، هو

وَعَكٌّ بْنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَعَّبُوا ، بِمَذْحِجَ ، حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مُطْرَدِ

فقال معلقا عليه : " والبيت مريب عند أبي عبد الله، فما فوق عدنان ، أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربي قط ، وإنما كان معد بإزاء موسى بن عمران ، صلى الله عليه وسلم ، أو قبله قليلا، وبين موسى وعاد وثمود الدهر الطويل، والأمد البعيد، فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا . فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث،

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 11

[2]- المصدر نفسه، ص 4.

ولم يرو قط عربي منها بيتا واحدا،ولا راوية للشعر، مع ضعف أسره ، وقلّة طُلاوته."[1] فابن سلام ناقد متميز ، خبير بأسباب الجودة والإخفاق في الشعر العربي القديم ، لما يتمتع به من ذوق نقدي مدعوم بالحجة والدليل - وإن كان لم يتخلص، تخلصا كاملا من هيمنة النقد التقليدي وتأثيره .

**ج- الموازنة بين الشعراء :**

الموازنة عند أهل المنطق " عملية ذهنية تقوم على ربط موضوع بآخر "[2] وتطلق في النقد الأدبي على " ضرب من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد ، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان " [3]

وقد اعتمد ابن سلام المقارنة بين الشعراء في العديد من المواضع، في كتابه، فقارن بين جميل وكثير قائلا : " وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل تقدم عليه في النسيب، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثيّر يتقوّل، ولم يكن عاشقا، وكان راوية جميل ."[4] فهو ينبّه، بملاحظته الدقيقة، وحسّه النقدي المرهف، على الغرض الشعري الذي تفوّق فيه الشاعران ، حيث تفرّد كثيّر بالتفوّق في التشبيب، في حين تفرّد جميل بالتفوّق في النسيب . فضلا عن أنّ له قدرة على التصرّف في سائر فنون الشعر، من غير النسيب . كما يشير إلى شخصيّة كلّ من الشاعرين ، فيحكم على كثيّر بأنّه متقوّل، وليس عاشقا، بخلاف جميل . ولعلّه يشير بذلك إلى مدى أهميّة عنصر الصدق في الفنّ الشعريّ، الذي يمنح الشعر نوعا من التّأثير وقوّة العاطفة .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 11

[2]- المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، 2 / 405.

[3]- الموازنة بين الشعراء : زكي مبارك ، ص 5.

[4]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 545.

ويقول، في الموازنة بين القطاميّ والأخطل : ". .. وكان القطاميّ شاعرا فحلا، رقيق الحواشي ، حلو الشعر، والأخطل أبعد منه ذكرا، وأمتن شعرا ."[1]

فهو يشير بوضوح إلى أنّ الأخطل يفوق القطاميّ في الشهرة ، ويبيّن الخصائص الفنيّة لشعر كلّ منهما .

وهكذا يمضي ابن سلام في اعتماد الموازنة بين الشعراء كلّما رأى ذلك أنسب معين على تبيان الخصائص الفنية والأسلوبية لشعر الشعراء ، أو المذهب الذي تفردوا فيه، أو المكانة التي حظوا بها ، فينقل عن العلاء بن جرير قوله : " كان يقال : الأخطل إذا لم يجئ سابقا، فهو سُكَّيْت ، والفرزدق لا يجئ سابقا ولا سكيتا، فهو بمنزلة المصلي، وجرير يجئ سابقا سكيتا ومصليا ."[2]

ويؤيد ابن سلام ما أجمع عليه سابقوه من أنّ : " أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة. "[3] فذو الرمة في عصره ، بمنزلة امرئ القيس في عصره ، من حيث القدرة على الإصابة في حسن التشبيه .

**د- أسس التقسيم الطبقي :**

الظاهر أن المنهج النقدي لابن سلام الجمحي في الطبقات، هو أقرب إلى المنهج التكاملي منه إلى أي منهج آخر، إذ أفاد ابن سلام من المنهج التاريخي حيث عمد إلى تقسيم الشعراء على أساس الزمان، إلى جاهليين وإسلاميين، إدراكا منه لمدى تأثير الزمان في الشعر، يقول : ". .. ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 535.

[2]- المصدر نفسه، ص 375.

[3]- المصدر نفسه، ص 549.

والمخضرمين، الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ."[1]

والحديث عن الزمن يقتضي الحديث عن القديم والحديث في الشعر العربي ، إلا أنّ الظروف وطبيعة البيئة، في عصر ابن سلام، لم تكن مهيأة للحديث عن تساوي القديم والحديث في الجودة ، ناهيك عن تفضيل الحديث على القديم ، بل كان الخوض في مثل هذا النقاش أمرا سابقا لأوانه ، بحكم تمسك القدماء وتأثرهم بالقيم والمفاهيم النقدية القديمة ، ورفضهم الخروج عن مذهب المتقدمين، أداء وأسلوبا ، " فأما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحد أن يخرج منه ."[2]

فقد نقل الأصمعي عن أستاذه أبي عمرو بن العلاء - وهو من هو علما بأمور العرب وأحوالهم - نقل عنه قوله : " جلست إلى أبي عمرو عشر حجج، ما سمعته يحتج ببيت إسلامي ."[3]

كما لم يفت ابن سلام أن يعمد إلى تقسيم طبقاته على أساس المكان، وهو من الظواهر البيئية المؤثرة في الشاعر، مما يجعل إنتاجه الشعري انعكاسا بينا لهذا التأثير : فالشاعر الذي يعيش في بيئة بدوية، تختلف نظرته إلى الأشياء عن نظرة نظيره الحضري ، لما بين البيئتين من فروق مادية ومعنوية تطبع عناصر الذوق بطابعها الخاص .

يتجلى ذلك عند أهل الكوفة الذين " كانوا يقدمون الأعشى ."[4]وعند أهل الحجاز والبادية الذين " كانوا يقدمون زهيرا "[5]، فزهير بدوي قح ، وشعره انعكاس لحياة البداوة بكل ما فيها من مظاهر اجتماعية واقتصادية وفكرية . بخلاف شعر الأعشى

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : 1 / 23.

[2]- المصدر نفسه ، ص 4.

[3]- البيان والتبيين : الجاحظ، 1 / 321.

[4]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 52.

[5]- المصدر نفسه.

الذي يعكس حياة الحضر لفظا ومعنى وخيالا، بما يشتمل عليه من مظاهر اللهو والخمر والمجون، وما شابه ذلك، مما يلائم ذوق الكوفيين بحكم احتكاكهم بمختلف الأجناس، وتأثرهم بشتى الحضارات .

وإدراكا من ابن سلام لمدى تأثير العامل البيئي في الشاعر، بادر إلى إفراد شعراء القرى العربية : [ مكة - المدينة - الطائف- البحرين ] بطبقة مستقلة، قدمها على طبقات الشعراء الإسلاميين .

ولعل إفراده شعراء القرى العربية بطبقة مستقلة، يرجع إلى التشابه القائم في شعرهم ، إذ يتسم بالجزالة واللين، خلافا لما هو عليه شعر البادية من قوة المعاني، وفخامة الألفاظ يقول عن عدي بن زيد : " كان يسكن الحيرة ، ويراكن الريف، فلان لسانه ، وسهل منطقه ."[1] وقد سبق ابن سلام أستاذه الأصمعي إلى الحديث عن ليونة الشعر، فقال : " وطريق الشعر، إذا أدخلته في باب الخير لان ."[2]وضرب مثلا بحسان بن ثابت، الذي كان شعره قويا متينا في الجاهلية، لكنه سرعان ما تغير، فصار لينا في الإسلام .

ولئن كان الأصمعي قد نظر إلى ليونة الشعر من حيث علاقتها بالخير والقيم الأخلاقية ورجع أسباب ضعفه إليها، فإنّ ابن سلام لم يقرنها بالخير، بل تحدث عن تعهر الشعراء دون أن يجعلنا نحس بأنه يربط هذا التعهر بقوة الشعر أو ضعفه وإنما ذكره في معرض الاستدلال على نحل الشعر، وعدم صحة نسبته إلى أصحابه أي بوصفها أداة للاسترابة في الشعر، وضرورة التوقف في الأخذ به .[3] وفي هذا تلميح

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 52.

[2] - أمالي المرتضى : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط 1954 م ، 1 / 269 .

[3]- ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب ( نقد الشعر من من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ) : د .إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ص 69.

إلى ضرورة النظر بحذر واحتراس إلى شعر الحضر لاحتمال أنه قد يكون شعرا يحمل في ثناياه أبياتا ضعيفة منحولة مما يجب رده والتشكيك فيه .

لذلك فابن سلام لا يتردد في تأخير الشاعر عن طبقته متى ضعف شعره، واختلط بأشعار غيره، اختلاطا يصعب تمييزه،كما هو الشأن بالنسبة إلى عدي بن زيد، وأشعار قريش التي قال عنها ابن سلام :"... وأشعار قريش فيها لين، فتشكل بعض الإشكال .[1]

فلين الشعر عند ابن سلام،مرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الحضرية، وهو مدعاة للحمل على الشاعر ما ليس له من الشعر.

وإلى جانب ذلك، هناك إشارة من ابن سلام إلى التقسيم القائم على الجنس أو العرق ، حيث ضم ، على هذا الأساس ، شعراء يهود المدينة ، ناظرا إلى اشتراكهم في العرق والمعتقد .[2]

**هـ- الفحولة :**

الفحولة في اللغة ، من الفحْل الذي يعني الذكر من كل حيوان أو نخل ، ويطلق أيضا ،على الحصير لأنه يصنع من فحل النخل. [3] "فعن أنس بن مالك قال : صنع بعض عمومتي للنبيّ، صلّى الله عليه وسلم، طعاما فقال للنبيّ، صلّى الله عليه وسلم : إنّي أحبّ أنْ تأكلَ في بيتي وتصلّيَ فيه . قال : فأتاه، وفي البيت فَحْل من هذه الفحول، فأمر بناحية منه ، فَكُنِسَ ورُشَّ ، فصلّى وصلّيْنا معه "[4]

لقد بنى ابن سلام ' طبقاته ' أساسا، على مبدأ الفحولة ، حيث ذكر ذلك، في عدة مواضع من كتابه ، من ذلك قوله : ". .. فاقتصرنا من الفحول المشهورين، على

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 245.

[2]- ينظر المصدر نفسه .

[3]- القاموس المحيط : الفيروزاباذي، دار الفكر، ط3، 3 / 453 .

[4]- سنن ابن ماجة : ص 118 .

أربعين شاعرا، فألّفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين . "[1] وقوله ، في حديثه عن أبي ذؤيب الهذلي : " وكان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه، ولا وهن ."[2] وقوله بصدد الحديث عن الطبقة الرابعة من شعراء الجاهليين : ". .. وهم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم من الأوائل ، وإنما أخلّ بهم قلّة شعرهم بأيدي الرواة ."[3] وقوله في ترجمة الأسود بن يعفر : " وكان الأسود بن يعفر شاعرا فحلا، وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم ، فيذم ويحمد ، وله في ذلك أشعار ."[4] وقوله عن أوس بن حجر : " كان أوس فحل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه ."[5]

ويبدو أنّ ابن سلام قد تأثر في ذلك، بأستاذه الأصمعي ، صاحب كتاب ' فحولة الشعراء '، إلا أنّ الأصمعي يقسم الشعراء إلى ثلاث طبقات : الشعراء الفحول ، والشعراء غير الفحول ، وبينهما الشعراء أشباه الفحول . يقول : " ولم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفة الخيل ، ولكن طفيل غاية في النعت ، وهو فحل ."[6] وأنشد له :

يُرَادُ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ كَأَنَّمَا  يُرَادُ بِهِ مِرْقَاةُ جِذْعٍ مُجَذَّلِ .[7]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ، 1 / 24 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 131 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 137.

[4]- المصدر نفسه ، ص 147.

[5]- المصدر نفسه ، ص 97.

[6]- فحولة الشعراء : الأصمعي، تحقيق المستشرق تورّي، تقديم د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان ، ط 2 - 1980 م ، ص 10.

[7]- المصدر نفسه .

ويصف الأسود بن يعفر بأنه : "يشبه الفحول ."[1] وقال : "ليس بفحل ."ردّا على من سأله ما إذا كان كل من الراعي وابن مقبل من الفحول .[2]

في حين يحصر ابن سلام بحثه في عدد معلوم من الفحول المتفاوتين في درجة الفحولة، يصنفهم في طبقات تبعا لهذا التفاوت .

وظل العرب ردحا من الزمن، يعدون الفحولة عنوانا على الشعر حين يبلغ درجة عالية من النضج والاكتمال .

وجدير بالذكر أنّ كتابات السواد الأعظم من المهتمين بموضوع الفحولة، توحي بأنّ الفضل في ابتكار هذا المصطلح، إنّما يرجع إلى الأصمعي [ ت 214 هـ ] ، إذ أفرده بكتابه الموسوم بـ [ فحولة الشعراء ] ، الذي نشره المستشرق تشارلز تورّي (Charles.C.Torrey)عام 1911 م ، في المجلد 65، من مجلة المستشرقين الألمان، مع مقدمة كتبها بالإنجليزية .[3]

بيد أنّ المصطلح قد ورد ذكره على الألسن عدة مرات، قبل الأصمعي . يقول عمرو بن العلاء - وهو أستاذ الأصمعي- [ت154هـ ]، في حديثه عن بشر بن أبي خازم : "... وقصيدته التي على الراء، ألحقته بالفحول ."[4] إشارة منه إلى رائيته التي مطلعها :

أَلاَ بَانَ الخَلِيطُ ، وَلَمْ يُزَارُوا ، وَقَلْبُكَ، فِي الظَّعَائِنِ ، مُسْتَعَارُ .[5]

كما نجد ذكر المصطلح، على لسان الشاعر الأموي ذي الرمة[ت117هـ ]، وعلى لسان الفرزدق[ت110هـ]، " إذ مرّ الفرزدق بذي الرمة، وهو ينشد :

---

[1]- فحولة الشعراء : الأصمعي ، ص 14.

[2]- المصدر نفسه ، ص 12.

[3]- ينظر مقدمة فحولة الشعراء ، لصلاح الدين المنجد، ص 8 .

[4]- فحولة الشعراء : الأصمعي ، ص 14.

[5]- ينظر ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي : قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط 1- 1994 م، ص 15.

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا، هَلِ الأَزْمُنُ اللاّئِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ ؟

فوقف حتى فرغ منها، فقال : كيف ترى، يا أبا فراس ؟ قال : أرى خيرا . قال : فمالي لا أعدّ في الفحول ؟ قال : يمنعك عن ذلك صفة الصحاري ، وأبعار الإبل ."[1]

وإذا صحت قصة ،السجال الذي جرى بين امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل ، والتي سبق ذكرها ، لكن في سياق أخر ، فإنّ المصطلح قديم جدا، تمتد جذوره إلى العصر الجاهلي .

ومفاد القصة أنّ امرأ القيس " نازع علقمة بن عبدة الفحل الشعر، فقال له : قد حكّمتُ بيني وبينك امرأتك أم جندب ، قال : قد رضيت ، فقالت لهما : قولا شعرا على روي واحد، وقافية واحدة ، صِفا فيه الخيل ، فقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ ، مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ، أُقَضِّ لَبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ .

وقال علقمة :

ذَهَبْتَ ، مِنَ الهِجْرَانِ ، فِي غَيْرِ مَذْهَبِ ، وَلَمْ يَكُ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ .

وأنشداها ، فغلّبت علقمة ، فقال لها زوجها : بأيّ شيء غلّبته ؟ قالت : لأنّك قلت :

فَلِلسَّوطِ أُلْهُوبٌ ، وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ ، وَلِلرَّجْزِ ، مِنْهُ ، وَقْعُ أَهْوَجَ ، مُنْعِبِ .

فجهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقك وزجرك ، وأتعبته بجهدك . وقال علقمة :

فَوَلَّى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ ، وَغَبْيَةُ شُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ ، مُلْهَبِ .

فَأَدْرَكَهُنَّ ، ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ ، يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ المُتَحَلِّبِ .

فلم يضرب فرسه بسوط ، ولم يمره بساق ، ولم يتعبه بزجر .

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام، 2 / 552.

فغضب من قولها وطلقها ، وخلف عليها علقمة ، فسمي بذلك ، الفحل."[1]

فالعلاقة واضحة بين الحقيقة [ قوة الذكورة ] ، والمجاز [ قوة الشعر ] .

ومصطلح ' الفحولة ' على الجملة ، من عبارات المفاضلة بين الشعراء ، وهو في بعض الحالات ، يؤدي معنى عبارات أخرى ، من قبيل قولهم : أشعر القوم ، أو أشهر شعراء القوم .[2] كما في قول عمرو بن العلاء السابق، في أوس بن حجر: " كان أوس بن حجر فحل مضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه ."[3]

ولا تخلو لفظة الفحولة هنا ، من أن تحمل على إرادة المعنى الحقيقي ، أي : قوة الذكورة ، حيث أعجبت أم جندب بعلقمة ، إعجابا انتهى بهما إلى الزواج ، أو على إرادة مفهوم نقدي فضلت فيه أم جندب الشاعر علقمة على زوجها امرئ القيس، فليس ثمة ما يرجح أحد الاحتمالين على الآخر .

وليس من المستبعد أيضا ، أن يكون مصطلح الفحولة مستمدا من [ الفحل ]، بمعنى الحصير السابق الذكر، فقد درج العرب على تشبيه أشعارهم الجيدة بالأشياء ، التي لها ارتباط بالنسيج المتقن ، " ووصفوا كلامهم في أشعارهم، فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل، والمعاطف، والديباج ، والوشي ، وأشباه ذلك"[4] .

ومهما يكن الأمر، فإنّ الفحولة عند ابن سلام ، لا تخرج عن كونها إطارا عاما ينتظم جملة من المقاييس النقدية ، التي يخضع لها الشعراء الفحول ، لتقدير منزلتهم ، والوقوف على مدى التفاوت بينهم في درجة الفحولة .

---

[1]- الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، 1 / 218 .

[2]- ينظر نظريات الشعر عند العرب ( الجاهلية والعصور الإسلامية ) : د . مصطفى الجوزو، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط 2 - 1988 م ، 2 / 18.

[3]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 97.

[4]- البيان والتبيين : الجاحظ ، 1 / 222 .

**و- الشهرة :**

وهي مبدأ نقدي اعتمده ابن سلام ، حينما عرض للحديث عن عبيد بن الأبرص ، مشيرا إلى أنّه قديم عظيم الذكر والشهرة ، مؤكدا من ناحية ثانية ، أنّ شعره مضطرب ، ذاهب ، لا يعرف منه إلا قصيدته التي مطلعها :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ ، فَالقُطْبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ .[1]

فابن سلام يعدّ عبيدا ضمن الشعراء المقلّين ، ومع ذلك فهو يتمتع بالشهرة .

**3.3 - المقاييس النقدية في الطبقات :**

لقد اعتمد ابن سلام مقاييس محددة وفق مفهومه لفن الشعر . ويمكن إجمال هذه المقاييس في الآتي :

**1- التفاوت في كثرة الإنتاج الشعري :**

لقد أولى ابن سلام اهتماما بالغا بمقياس الكثرة ، محتذيا في ذلك ، أستاذه الأصمعي .

إلاّ أنّ الكثرة عند الأصمعي ، هي سبب من الأسباب التي تؤهل الشاعر ليكون فحلا .

بينما هي ، عند ابن سلام ، مقياس نقدي ، يقدّم بمقتضاه الشاعر الفحل على غيره من الفحول ، الذين لم تتوفر فيهم هذه الكثرة .

ويثير مصطلح الكثرة عددا من الأسئلة المشروعة ، لما يعتريه من إبهام : هل هذه الكثرة محصورة في عدد محدود من القصائد ، التي إذا ما توفرت في الشاعر ، عدّ فحلا ، أو قدّم على غيره من الفحول ، الذين لم يستوفوا هذا العدد ؟ وهل هذا العدد مطّرد، بحيث ينطبق على كل شاعر، أو هو خاص بشاعر دون آخر ؟

---

[1]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م، 1 / 138.

الواقع أنّه لا الأصمعي ، ولا ابن سلام فصل القول في تحديد هذه الكثرة ، وبيان مقدارها .

فالأصمعي مثلا، تارة يجعلها عشرين قصيدة ، عند حديثه عن أوس بن غلفاء الهجيمي ، فيقول : " لو كان قال عشرين قصيدة ، لحق بالفحول ، ولكنه قطع به ."[1] وتارة يجعلها خمسا، في حديثه عن كل من الحويدرة، وثعلبة بن صغير المازني،حيث يقول عن الأول : " لو قال مثل قصيدته خمس قصائد، كان فحلا ."[2] ويقول عن الثاني : " لو قال ثعلبة بن صغير المازني مثل قصيدته خمسا ، كان فحلا ."[3] وتارة يجعلها خمسا أو ستا ، بالنسبة إلى معفر المبارقي ، فيقول : " لو أتمّ خمسا أو ستا ، لكان فحلا ."[4]

ويزداد الأمر التباسا ، حين يشير أحيانا ، إلى أنّ القصيدة الواحدة ، قد تلحق الشاعر بالفحول، كقوله عن كعب بن سعد الغنوي : " ليس من الفحول إلاّ في المرثية ."[5] وقوله عن بشر بن أبي خازم : " وسمعت عمرو بن العلاء يقول : قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول ."[6]

ويكاد ابن سلام لا يختلف عن أستاذه الأصمعي في عدم تحديد الكثرة بدقة، يقول عن الأسود بن يعفر : " وله واحدة رائعة طويلة ، لاحقة بأجود الشعر، لو شفعها

---

[1]- فحولة الشعراء : الأصمعي ، ص 15.

[2]- المصدر نفسه، ص 12.

[3]- المصدر نفسه.

[4]- المصدر نفسه، ص 14 .

[5]- المصدر نفسه .

[6]- المصدر نفسه : ص 15 .

بمثلها ، قدمناه على مرتبته ."[1] ويقول عن شعراء الطبقة الرابعة من الجاهليين : " وإنّما أخلّ بهم قلّة شعرهم بأيدي الرواة ."[2]

وهكذا ، نجد أنّ مصطلح الكثرة ، يبقى نسبيا ومختلفا بين شاعر وآخر ، تبعا لرصيد هذا الشاعر أو ذاك ، من القصائد الجيدة وعددها .

فإذا تجاوزنا قضية تحديد مفهوم الكثرة ، إلى احتكام ابن سلام إليها ، في المفاضلة بين الشعراء ، وتصنيفهم في طبقات ، وجدنا أنّ هذا المعيار يحتل صدارة المعايير، التي اعتمدها ابن سلام في تصنيف الشعراء ، في ' طبقاته '. وفي كتابه العديد من النصوص التي تؤكد أهمية هذا المقياس . ففي تعليله وضع الأسود بن يعفر ، في الطبقة الخامسة، من طبقات الجاهلية، يقول، كما سبق ذكره : " وله واحدة رائعة طويلة ، لاحقة بأجود الشعر، لو شفعها بمثلها ، قدمناه على مرتبته ."[3] إشارة منه إلى داليته ، التي مطلعها :

نَامَ الخَلِيُّ، فَمَا أُحِسُّ رُقَادِي، وَالهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وِسَادِي .

فعلى الرغم من أنّ ابن سلام يقرّ صراحة ، بأنّ الأسود بن يعفر، قد أجاد في داليته هذه ، إلاّ أنّه أخره عن أهل مرتبته ، لكونه مقلاّ .

ويبقى ابن سلام وفيّا لمبدئه ، فيطبقه كذلك ، على طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدي بن زيد ، حيث أخرهم إلى الطبقة الرابعة ، من طبقات الجاهليين ، للسبب نفسه. فقال : " وهم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل، وإنّما أخلّ بهم قلّة شعرهم بأيدي الرواة ."[4] ويصدق هذا أيضا ، على كل من سلامة بن جندل ، والحصين المري ، والمتلمس ، والمسيب بن

---

[1]-: طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 147.

[2]- المصدر نفسه ، ص 137.

[3]- المصدر نفسه ، ص 147.

[4]- المصدر نفسه ، ص 137.

علس ، الذين أخرهم إلى الطبقة السابعة ، حيث يقول : " أربعة رهط مُحْكِمون ، مقلّون ، وفي أشعارهم قلة ، فذلك الذي أخّرهم ."[1]

يستفاد من هذه النصوص أنّ ابن سلام قد انتهج طريق وفرة الإنتاج الشعري ، باعتباره أداة أولى لقياس جودة الشعر، وتقديم الشعراء ، " وهو طريق عسر مضلل، في كثير من الأحيان، ويصبح تأخير شعراء ، في ترتيبهم الطبقي ، لقلة شعرهم ، هو المسوغ عند ابن سلام ."[2]

**2- التفاوت في جودة الإنتاج الشعري :**

المراد بالجودة في الشعر : حسن الشعر وجماله ، وبلوغه مستوى فنيا رفيعا والجيد في أصل الوضع اللغوي : نقيض الرديء ، وجاد الشيء : صار جيّدا، وأجاد فلان جودة : أتى بالجيد من القول أو الفعل .[3]

وقد تدوول هذا المصطلح ومشتقاته ،في النقد الأدبي عند العرب . قال دعبل الخزعي :

يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ ، وَجَيِّدُهُ يَحْيَا ، وَإِنْ مَاتَ قَائِلُه .[4]

وفي ' فحولة الشعراء ' : " شعر لبيد كأنّه طيلسان طبري - يعني أنّه جيد الصنعة، وليست له حلاوة -. ... وكان لبيد رجلا صالحا ، كأنّه ينفي عنه جودة الشعر ."[5]

ومن ضروب الشعر، عند ابن قتيبة : " ضرب منه ، حسن لفظه ، وجاد معناه ،..

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 155.

[2]- التراث النقدي : رجاء عيد ، ص 164.

[3]- ينظر لسان العرب : ابن منظور ، 3 / 135.

[4]- الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، 2 / 851.

[5]- فحولة الشعراء : الأصمعي ، ص 15.

وضرب منه جاد معناه ، وقصرت ألفاظه ."[1]

وللشعر ، عند ابن سلام ، خصائص ومواصفات ، متى توفرت فيه ، حقق الجودة المطلوبة ، وهذه المواصفات ، هي : أن يكون حجة في العربية ، وأن يستفاد منه الأدب ، وأن ينطق بحكمة أو رأي سديد ، وأن يكون رائعا في المديح ، مقذعا في الهجاء ، معجبا في الفخر، مستطرفا في النسيب .[2]

ويبدو ، للوهلة الأولى ، أنّ هذه المواصفات ، مفروضة على النص الشعري من الخارج ، بحيث حاول ابن سلام أن يحدد بها سلفا ، للقول الشعري حقولا ، يستمد منها الشاعر عناصر قصيدته ، بحيث تأتي متناسبة مع المواصفات الجاهزة عروضيا، وبيانيا، وتركيبا .

إلا أنّه بمزيد من التأمل والروية ، نكتشف أنّ هذه المواصفات ، ظلت لصيقة بالنص الشعري ، نابعة من داخله ، وابن سلام لم يفرضها فرضا ، وإنما نظر إلى النصوص الشعرية فهداه نظره إلى استنباط ما فيها من جودة وجمال . ولعله تساءل عن سبب جودتها وجمالها ، فهداه الفحص والتأمل إلى استخلاص هذه الخصائص والمواصفات من النصوص نفسها .

لذلك نجده يضع امرأ القيس على رأس شعراء الطبقة الأولى ، من شعراء الجاهلية، بحكم إجماع معاصريه على تقديمه ، وبحكم أنّ له أشعارا جمعت بين الجودة والوفرة .

وإذا ما تتبعنا النصوص الواردة في طبقات ابن سلام ، بخصوص جودة الشعر، اهتدينا إلى أنّ الجودة عنده ، تقتضي جملة من الأسس الجمالية والموضوعية ، التي

---

[1]- الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، 1 / 64 .

[2]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 4 .

أقام عليها أحكامه النقدية على الشعراء ، فأنزلهم منازلهم تبعا لها . ولعل أهم هذه الأسس :

**3- الإبداع في الموضوعات والتجديد في الأساليب :**

أي أن يأتي الشاعر بما هو جديد ومبتكر، كما هي الحال ، بالنسبة إلى امرئ القيس ، الذي كان له باع طويل في هذا المجال . ولهذا السبب احتج له من يقدمه بالقول إنه " ما قال ما لم يقولوا ، ولكنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء : استيقاف صحبه ، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب ، وبيّن المعنى ."[1]

**4- طول النفس الشعري والتنويع في العروض :**

وهذا الأساس لم يكن أقل حظوة باهتمام ابن سلام، من سائر الأسس الجمالية، بل كان حاضرا بقوة، في كثير من المواقف النقدية لابن سلام. يبدو ذلك جليا، في قوله عن الأعشى :" وقال أصحاب الأعشى : هو أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا، وهجاء، وفخرا، ووصفا. كل ذلك عنده ."[2]

**5- التفاوت في القدرة على التصرف في أغراض الشعر:**

ومن المقاييس النقدية ، التي اعتمدها ابن سلام ، في تصنيف الشعراء في طبقات ، قدرة الشاعر على التصرف في أغراض الشعر وفنونه ، إذ قد يجد الشاعر في نفسه ، ميلا طبيعيا لقول الشعر في غرض من أغراضه، بالسهولة نفسها التي يقوله بها في غيره من الأغراض ، ويكون هذا سببا كافيا عند ابن سلام ، لتقديم الشاعر، الذي تفنن في أغراض الشعر ، على نظيره الذي تفرد في غرض واحد ، لكنه إذا ما

---

[1]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 55

[2]- المصدر نفسه ، ص 65 .

حاول تجاوز هذا الغرض إلى غرض غيره ، بدا عجزه وقصوره ، أو على الأقل ، لم يُجِد جودته في الغرض الذي تفرد فيه .

لذا يشير ابن سلام ، في عدة مواضع من كتابه ، إلى أنّ تعدد الأغراض لدى الشاعر، قد يكون وراء تقديمه وتفضيله على غيره من الشعراء .

من ذلك قوله عن جرير : ". .. وسألت الأسيدي - أخا بني سلامة - عنهما [ يعني عن جرير والفرزدق ] ، فقال : بيوت الشعر أربعة : فخر ، ومديح ، ونسيب ، وهجاء . وفي كلها غلّب جرير . في الفخر ، في قوله :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ، حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا .

وفي المدح قوله :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ، وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ ؟

وفي الهجاء قوله :

فَغُضَّ الطَّرْفَ ، إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ، فَلاَ كَعْبًا بَلَغْتَ ، وَلاَ كِلاَبَا .

وفي النسيب قوله :

إِنَّ العُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ، قَتَّلْنَنَا ، ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا .

وعلى هذا يذهب أهل البادية ."[1]

فابن سلام يؤيد هنا، إجماع أهل البادية على تفوق جرير على الفرزدق ، نظرا لما يمتلكه جرير من استعداد فطري لقول الشعر، في شتى الأغراض .

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 378.

ويورد رأي بشار، في المفاضلة بين جرير والفرزدق : "كانت لجرير ضروب من الشعر، لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار، فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ."[1]

ثم يسأل بشارا عما إذا كان لجرير رثاء ، غير رثاء امرأته ، فينشده الدالية ، التي يرثي بها ابنه سوادة :[2]

قَالُوا : نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ : كَيْفَ العَزَاءُ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي ؟

فَارَقْتَنِي، حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي، وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالِي .

أَمْسَى سَوَادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ، بَازٍ يُصَرْصِرُ، فَوْقَ المَرْبَأِ العَالِي .

قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنِّي، إِذَا غَلِقَتْ رُهْنُ الجِيَادِ، وَمَدَّ الغَايَةَ الغَالِي .

إِنَّ الثَّوِيَّ، بِذِي الزَّيْتُونِ، فَاحْتَسِبِي، قَدْ أَسْرَعَ اليَوْمَ، فِي عَقْلِي، وَفِي حَالِي .

إِلاَّ تَكُنْ لَكَ، بِالدَّيْرَيْنِ، مُعْوِلَةٌ، فَرُبَّ بَاكِيَةٍ بِالرَّمْلِ، مِعْوَالِ .

كَأُمِّ بَوٍّ عَجُولٍ، عِنْدَ مَعْهَدِهِ، حَلَّتْ إِلَى صَلَدٍ مِنْهُ، وَأَوْصَالِ .

حَتَّى إِذَا عَرَفَتْ أَنْ لاَ حَيَاةَ بِهِ، وَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الجَوْفِ مِثْكَالِ .

زَادَتْ عَلَى وَجْدِهَا وَجْدًا، وَإِنْ رَجَعَتْ فِي الصَّدْرِ مِنْهَا، خُطُوبٌ ذَاتُ بَلْبَالِ .

وهكذا نرى ابن سلام لا يتردد في الحكم لشاعر، متى تعددت عنده الأغراض الشعرية ، ولعل النص الذي يشير إلى ذلك بوضوح ، قوله في المقارنة بين كثيّر وجميل : " وكان لكثيّر في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدم عليه [ وعلى أصحاب النسيب جميعا ] في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ."[3]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 456 .

[2]- المصدر نفسه ، 2 / 457 .

[3]- المصدر نفسه ، 2 / 545 .

فعلى الرغم من أنّ ابن سلام يقر بتفوق جميل في النسيب بدون منازع ، إلاّ أنّ هذا التفوق لم يشفع له عند ابن سلام ، في أن يصنف فيما دون الطبقة السادسة ، من طبقات الإسلاميين ، في حين صُنِّف كثيّر في الطبقة الثانية ، من الطبقات نفسها، لا لشيء سوى لأنه كان له في فنون الشعر ما ليس لجميل .

**6 - التفاوت في التفرد في فن من فنون الشعر:**

أي إنّ الشاعر ، قد تظهر مواهبه ، في فن من فنون الشعر ، فيجيد فيه إجادة ، لا تتأتّى له في غيره من فنون الشعر، مما يعد عند ابن سلام ، مقياسا نقديا ، يفرض نفسه بقوة ، في تصنيف الشعراء ، وتقديم بعضهم على بعض .

وهذا ما يفسر إفراده الشعراء المتفوقين في الرثاء بطبقة مستقلة ، على ما بينهم من تفاوت الجودة في هذا المجال ، إذ يقول : ". .. وصيّرنا أصحاب المراثي [ متمم بن نويرة - الخنساء - أعشى باهلة - كعب بن سعد ] طبقة بعد العشر الطبقات ."[1]

ولما كان فن الرثاء هو القاسم المشترك بين هؤلاء الشعراء ، لم يتردد ابن سلام في الجمع بينهم ، في طبقة واحدة ، لما رأى ما بينهم من تشابه ملحوظ في الغرض الشعري ، الذي يعالجه كل منهم ، وعرف به أكثر من غيره .

فابن سلام يقيم وزنا كبيرا للتفرد في غرض من أغراض الشعر، ويعد المجيد فيه من المتفوقين ، الذين يستحقون التقديم .

ولئن كان ابن سلام قد جنح ، في هذه الطبقة تحديدا ، إلى اعتماد التشابه المبني على أساس المضامين ، أو الموضوعات والأغراض ، فإنّه قصر ذلك على الرثاء ، ولم يتعده إلى غيره من سائر فنون الشعر، واكتفى بالإشارة إلى بعضها دون أن يخصها بطبقات مستقلة على غرار ما فعل في الرثاء ، فلمح إلى إجادة شعراء الغزل ، في الطبقة السادسة من طبقات الإسلاميين ، وكذلك فعل مع شعراء الرجز.

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 203 .

إلاّ أنّه لم يجعل أساس التفضيل بينهم التفرد في الغزل ، أو الرجز ، وإنما نظر إليهم من زاوية الإجادة في أشعارهم بمختلف فنونها .

وفي طبقات ابن سلام عدة مواضع يذكر فيها أهمية الإجادة ، في غرض من أغراض الشعر، ويتخذها مقياسا للمفاضلة بين الشعراء .

ولعل تصنيفه امرأ القيس في طليعة الطبقة الرابعة من طبقات الجاهليين ، وتصنيفه ذا الرمة ، في الطبقة الثانية من طبقات الإسلاميين ، يرجع الفضل فيه ، إلى جملة ما يرجع ، إلى حسن التشبيه عندهما . يقول في ذلك : " كان علماؤنا يقولون : أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة ."[1]

ومن هذا القبيل قوله ، في عبد الملك بن قيس الرقيات : " وكان غزلا ، وأغزل من شعره [ شعر ] عمر بن أبي ربيعة ."[2]

وهكذا يسترسل ابن سلام في الإشارة إلى الشعراء ، الذين كانت الإجادة في فن من فنون الشعر، سببا في تفضيلهم، فينقل عن حبيب بن يونس قوله : " كان الجعدي أوصف الناس لفرس ، أنشدت قولَه رؤبةَ :

فَإِنْ صَدَقُوا قَالُوا : جَوَادٌ مُجَرَّبٌ ، ضَلِيعٌ ، وَمِنْ خَيْرِ الجِيَادِ ضَلِيعُهَا .

قال رؤبة : ما كنت أرى المرهف منها إلاّ أسرع . ولم يكن رؤبة والعجاج صاحبي خيل ولكن كانا صاحبي إبل ونعتها ."[3] ويقول عن الراعي : " سمّي راعي الإبل لكثرة صفته

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 549 .
[2]- المصدر نفسه، ص 648 .
[3]- المصدر نفسه، ص 128 .

للإبل ، وحسن نعته لها ."[1] كما يورد حكم جرير للأخطل بأنه : " يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر ."[2]

ففي هذه النصوص دلالة صريحة،على أنّ ابن سلام يحصر المفاضلة بين الشعراء في حدود غرض شعري معين ، تتحقق فيه الجودة المطلوبة ، بغض النظر عن المفاضلة العامة التي يكون موضعها الأغراض المتعددة لدى الشاعر . يبدو ذلك جليا ، لدى ابن دَأْب ، حين سئل : أيّهما أشعر، جرير أو الفرزدق ؟ فقال :"الفرزدق أشعر عامّة ، وجرير أشعر خاصة ."[3]

**7- عذوبة المنطق ورقة الحواشي :**

العذوبة : مصدر الفعل [ عَذُبَ ]، وتسند إلى شيء حسي، فيقال مثلا : عذب الطعام أو الشراب ، يعذب عذوبة ، فهو عذب ، أي : لذيذ مستساغ .[4]

كما تسند إلى شيء معنوي ، فيقال على سبيل المجاز : عذوبة الكلام ، فيكون المعنى عندئذ : الكلام الرائع الجيد .

والحواشي : جمع حاشية ، من حشا الوسادة ونحوها ، يحشوها ، حشوا : ملأها بالقطن ونحوه .[5]

ورقة حواشي الكلام ، تشير إلى أنّ الكلام يلقى - عند سماعه ، أو قراءته - صدى حسنا لدى المتلقي ، لقربه من نفسه ، وإدراكه إياه من أول وهلة .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 298 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 488 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 299 .

[4]- ينظر لسان العرب : ابن منظور ، 1 / 583 .

[5]- ينظر المعجم الوسيط : ص 177 .

وقد لاحظ ابن سلام ، أنّ هذه الصفة ظاهرة ، بصورة جلية ، لدى بعض الشعراء كلبيد ، على سبيل المثال ، الذي صنفه في الطبقة الثالثة ، من طبقات الشعراء الجاهليين حيث يقول :" وكان لبيد بن ربيعة أبو عَقِيل فارسا شاعرا شجاعا، وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلما رجل صدق ."[1]

ولئن كان ابن سلام يقرن هنا ، رقة حواشي الكلام بالإسلام والصدق ، فإنه يقرنها بصفة الحلاوة ، بالنسبة إلى الشاعرين : عبد بني الحسحاس ، والقطامي عمرو بن شييم بن عمرو التغلبي ، إذ يقول عن الأول : "وهو حلو الشعر ، رقيق حواشي الكلام ."[2]

ويقول عن الثاني : " وكان القطامي شاعرا فحلا ، رقيق الحواشي ، حلو الشعر ، والأخطل أبعد منه ذكرا ، وأمتن شعرا ."[3]

فابن سلام يولي هذا المقياس الفني اهتماما كبيرا ، ويعده من جملة المقاييس الفنية المؤثرة في تصنيف الشعراء في هذه الطبقة أو تلك .

**8-الثقة برأي الناقد المختص :**

لقد لفت انتباه ابن سلام تفشي ظاهرة الادعاء بمعرفة الشعر" وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء ."[4]

وظاهرة الاعتماد على الذوق الخاص في إصدار الأحكام النقدية ، موازاة مع التقليل من شأن الأحكام النقدية ، التي يرسلها ذوو الاختصاص . " وقال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه ، فما أبالي ما قلتَ أنتَ فيه وأصحابك . قال : إذا

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 135 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 187 .

[3]- المصدر نفسه : 2 / 535 .

[4]- المصدر نفسه : 1 / 4 .

أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف : إنّه رديء ، فهل ينفعك استحسانك إيّاه ؟"[1]

فجاء ابن سلام ليعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية، ويرد الاعتبار للناقد المختص، ويمنحه السلطة التي يستحقها، إيمانا منه بأنّ مثل الشعر كمثل سائر الصناعات والحرف، يتطلب مزيدا من الحذق والخبرة وطول المراس، ونقده ومعرفة خباياه، لا تتأتى لكل من هبّ ودبّ. " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان ."[2]

وإذا كان الأمر كذلك، فالمعوّل عليهم في إصدار الأحكام النقدية، عند ابن سلام ، إنما هم أهل الاختصاص ، " وليس لأحد - إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة، ولا يروى عن صحفي ."[3]

**9 - جودة الديباجة وكثرة الرونق :**

والديباج أو الديباجة : لفظ معرب من الفارسية ، من معانيه : ضرب من الثياب الموشى والمصنوع من الحرير أو الإبريسم ، ويمتاز بجودة الملمس ونعومته ، ويتضمن معنى الحسن والبهار في بعض معانيه . فديباجة الوجه ، أو ديباجه : حسن بشرته . أنشد ابن الأعرابي للنجاشي :

هُمُ البِيضُ أَقْدَامًا ، وَدِيبَاجُ أَوْجُهٍ ، كِرَامٌ ، إِذَا اغْبَرَّتْ وُجوهُ الأَشَائِمِ .[4]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 7 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 5 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 4 .

[4]- لسان العرب : ابن منظور، 2 / 262 .

وهذا المصطلح متداول في العديد من كتب النقد والبلاغة ، مرادا به : " نسج الشعر وحسنه "[1]. أي : أن يكون هناك نوع من التماسك بين الوحدات المكونة للنص الشعري بحيث يجب أن يكون له " إيقاع يطرب الفهم لصوابه، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال أجزائه ، فإذا اجتمع للفهم ، مع صحة وزن الشعر، صحة المعنى ، وعذوبة اللفظ ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر ، تم قبوله له "[2].

والرونق ، في أصل الوضع اللغوي : " ماء السيف وصفاؤه وحسنه ."[3]

ومن المجاز : " ذهب رونق شبابه . أي : طراءته . وأتيته في رونق الضحى، كما نقول : في وجه الضحى . وأنشد ابن الأعرابي :

وَهَلْ أَرْفَعَنَّ الطَّرْفَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ، بِهَجْلٍ مِنَ الصَّلْعَاءِ ، وَهْوَ خَصِيبُ .[4]

وقد عرض ابن سلام لهذا المصطلح ، في معرض حديثه عن النابغة الذبياني، فقال : " وقال من احتج للنابغة : كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا ، كأنّ شعره ليس فيه تكلف ."[5]

إلا أنّ ابن سلام - كعادته في بعض الأحيان - لم يفصل القول في تحديد مفهوم هذا المصطلح ، بحيث بقي محفوفا بنوع من الإبهام .

على أننا إذا ما نظرنا في السياقات ، التي ورد فيها ذكر هذا المصطلح ، عند القدماء، انحسر هذا الإبهام نسبيا . فقد اشترط قدامة بن جعفر، في اللفظ الجيد ، " أن

---

[1]- معجم مصطلحات النقد العربي القديم : د. أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1- 2001 م ، 1 / 21 .

[2]- عيار الشعر : أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع – الرياض ، ط 1985 م ، ص 21 .

[3]- لسان العرب : ابن منظور، 10 / 128.

[4]- أساس البلاغة : الزمخشري ، 1 / 390 .

[5]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 56 .

يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة، مع خلو من البشاعة ."[1]

يستفاد من هذا، أنّ رونق الكلام وديباجته ، إنما ينعت بهما الشكل أساسا .

يؤكد هذا، أبو هلال العسكري ، حين يقرن الرونق بالطلاوة ، وهما من صفات اللفظ الجيد .[2]

وجملة القول أنّ جودة الديباجة ، وكثرة الماء والرونق ، تعنيان " الحسن والطلاوة، والزينة الأسلوبية، المعتمدة على جمال جرس الألفاظ، وعذوبة أصدائها في النفس"[3]

**10- التفاوت في القصيدة المتفردة :**

إن فكرة القصيدة الواحدة قديمة ، في النقد الأدبي عند العرب ، ولعلها ترجع إلى الأبيات المتفردة ، حيث يكون كل بيت ، من الأبيات السائرة ، يؤدي معنى مستقلا في الظاهر، وإذا ما حذفناه ، أو أدخلنا على ترتيبه تغييرا بالتقديم أو التأخير، لا يؤثر ذلك تأثيرا سلبيا في التماسك المعنوي ، ولا يخلّ بالوحدة العضوية للقصيدة .

والقصيدة المتفردة ، والمتفوقة فنيا ، على أخواتها من القصائد ، مبرر كاف ، عند ابن سلام ، لتقديم هذا الشاعر أو ذاك .

يقول عن المفضل بن معشر : ". .. ومنهم المفضل بن معشر بن أسحم بن عدي. ... فضلته قصيدته التي يقال لها ' المنصفة '، وأولها :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اِسْتَقَلُّوا ، فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ .[4]

---

[1]- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 65.

[2]- ينظر كتاب الصناعتين ( الكتابة والشعر ) : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مطبعة محمود بك- الأستانة العلية ، ص 57 .

[3]- التفكير النقدي عند العرب : عيسى علي العاكوب، ص 126.

[4]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 275 .

ومثل هذا أيضا ، قوله عن طرفة بن العبد : " فأما طرفة ، فأشعر الناس واحدة ، وهي قوله :

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ، وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي ، وَأَبْكِي إِلَى الغَدِ .[1]

كما جمع ابن سلام أصحاب القصيدة المتفردة ، في الطبقة السادسة ، من طبقات الجاهليين إذ يقول : ".. أربعة رهط ، لكل واحد منهم واحدة ."[2]وهؤلاء الأربعة هم : عمرو بن كلثوم ، ومطلع معلقته :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ، وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأندَرِينَا .

والحارث بن حلّزة ، ومطلع معلقته :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ، رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ .

وعنترة بن شداد العبسي، ومطلع معلقته :

يَا دَارَ عَبْلَةَ، بِالجِوَاءِ ، تَكَلَّمِي ، وَعِمِي صَبَاحًا ، دَارَ عَبْلَةَ ، وَاسْلَمِي .

وسويد بن أبي كاهل ، ومطلع قصيدته :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا ، فَمَدَدْنَا الحَبْلَ مِنْهَا مَا اِتَّسَعْ .[3]

فابن سلام يعير هذا المقياس الفني اهتماما ، لا يقلّ أهمية عن سائر المقاييس التي احتكم إليها في تقديم الشاعر ، أو تأخيره .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 138.

[2]- المصدر نفسه : ص 151.

[3]- المصدر نفسه: ص 153.

# الفصل الرابع : اتجاه ابن سلام في النقد .

1.4 - النقد اللغوي .

2.4- النقد الفني .

3.4- النقد التوثيقي .

يتسم اتجاه ابن سلام في النقد بالشمول والتنوع ،بحيث يتناول الموضوع من عدة مستويات : كالمستوى النحوي ، والمستوى الدلالي للألفاظ ، والمستوى الصوتي ، فهو يهتم بالجانب اللغوي ، والجانب الفني، والجانب التوثيقي الذي يحتل حيزا كبيرا في كتابه.

### 1.4 - النقد اللغوي .

تعدّ البصرة - بحق- من أهم مراكز الإشعاع الفكري في تاريخ الحضارة العربية ، إذ كانت سباقة إلى العناية بعلوم العربية وتدوينها ، ووضع قواعدها ، ولم يكن لها منافس حقيقي في هذا المجال حتى ظهرت الكوفة ، " وجاء أبو جعفر الرؤاسي ، فكان أول من ألّف في النحو من الكوفيين ، وأول من أسّس مدرسة الكوفة ، ودعمها تلميذاه : الكسائي والفراء ، وكانا نظيري سيبويه رئيس البصريين."[1]

وقد نقل ابن سلام ، في طبقاته ، جملة من النماذج لما كان يدور في حاضرتي البصرة والكوفة من نقد لغوي ، طال عدة مستويات ، كالمستوى النحوي ، والمستوى اللغوي ، والمستوى الصوتي ، والمستوى الدلالي .

فهو يذكر، على المستوى النحوي ، ما كان يجري بين علماء اللغة وبين الشعراء الذين لا يقيمون ، في بعض أشعارهم ، كبير وزن للنحو ، فيقول : " أخبرني يونس أنّ أبا عمرو كان أشدّ تسليما للعرب ، وكان ابن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر يطعنان عليهم . كان عيسى يقول : أساء النابغة في قوله :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ، مِنَ الرُّقْشِ، فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ .

يقول : موضعها ناقعا."[2]

---

[1]- ضحى الإسلام : أحمد أمين ، 2 / 285 .

[2]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 16 .

ويذكر أيضا ، أنّ بعض أشعار الفرزدق كانت هدفا لسهام ابن أبي إسحاق النقدية، التي صوّبها إلى هذه الأشعار، فأصاب ما تحتويه من سقطات نحوية ، فيقول : " وأخبرني يونس أنّ ابن أبي إسحاق قال للفرزدق ، في مديحه يزيد بن عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ ، كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

عَلَى عَمَائِمِنَا يُلْقَى وَأَرْحُلِنَا ، زَوَاحِفَ تُزْجَى، مُخُّهَا رِيرِ.

قال ابن إسحاق : أسأت ، إنما هي : رِيرُ . وكذلك قياس النحو في هذا الموضع ، وقال يونس : والذي قال حسن جائز ، فلما ألحّوا على الفرزدق ، قال : [عَلَى زَوَاحِفَ نُجْزِيهَا مَحَاسِيرُ ] ، قال : ثم ترك الناس هذا، ورجعوا إلى القول الأول ."[1]

كما انتقد الفرزدق في قوله :

وَعَضُّ زَمَانٍ ، يَابْنَ مَرْوَانَ ، لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتًا أَوْ مُجَرَّفُ .

فقال : كان الواجب أن يقول : [مُجَرَّفًا] لأنّه معطوف على منصوب ، والمعطوف تابع،له حكم المعطوف عليه في الإعراب . فكان ردّ فعل الفرزدق أن هجاه بقوله :

لَوْ كَانَ عَبْدُ اللّهِ مَوْلَى ، هَجَوْتُهُ ، وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا .

فعابه في ذلك أيضا ، قائلا : كان الواجب أن يقول : [ مَوْلَى مَوَالٍ ] ."[2]

فابن سلام يطلعنا ، في هذه النصوص ، على طبيعة النقد اللغوي الذي كان متداولا بين علماء عصره ، ويشير إلى أنّ من هؤلاء العلماء من كان متمسكا بالقديم ، و لا يتحرج من مؤاخذة الشعراء وانتقادهم ، بصرف النظر عن مكانتهم وشهرتهم . كما يرسم لنا صورة للصراع الذي كان قائما بين علماء اللغة، وبين الشعراء، حيث بدأ علماء اللغة - بحكم تخصصهم - " ينقدون الشعر على نمطهم وأسلوبهم، بدأوا نوعا جديدا من النقد، هو أنّ الشاعر أخطأ نحويا، ولم يجر في شعره ، على منحى العرب في الإعراب، "[3]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 17.

[2]- المصدر نفسه : ص 21 .

[3]- النقد الأدبي : أحمد أمين ، 2 / 468 .

ويصرّون على أن يخضع الشعراء في أشعارهم ، للقياس ، في حين لا يهم الشعراء سوى التعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وأفكارهم ، ولا يضيرهم كثيرا ، مخالفة القياس بين الحين والآخر ، وربما وجدوا من العلماء من يوجد لهم تخريجات لأقوالهم ، وربما اضطروا إلى العدول عن أخطائهم إلى غيرها ، إرضاء لهؤلاء العلماء ولا شك أن حرص العلماء على سلامة الشعر من الأخطاء النحوية وغيرها أمر محمود ، لأن غايته الحفاظ على اللغة وضبط قواعدها ، إلا أنّ في هذا الاتجاه نوعا من الجناية على النقد الأدبي متى قُصِد به تضييق مجال النقد وحصره في الأخطاء النحوية واللغوية ،نظرا لما في ذلك من إقصاء للعناصر الجوهرية في النقد، كالخيال ، والعاطفة ، وبراعة التصوير ، وغير ذلك مما يعد مصدرا للجمال الشعري.

في هذا السياق، ينتقل ابن سلام إلى النص القرآني، فيعرض لوجوه القراءات، واختلاف توجيهاتها عند كبار القراء، فيشير إلى أنّ من القراء، كعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق كانا يقرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]بنصب الفعلين [ نُكَذّبَ - نَكُونَ ] على إضمار [ أَنْ ] بعد الواو عند البصريين ، في حين كان الحسن ، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس، يقرأون برفع الفعلين، بحكم أنّهما معطوفان على [ نُرَدُّ ] المرفوع ، أو بحكم القطع والاستئناف .

ويذكر ابن سلام أنّ سيبويه اختار الرفع في هذه المسألة ، مضيفا ( سيبويه ) أنّ من نصبوا إنما سمعوا قراءة ابن أبي إسحاق فاتّبعوه .[2]

يتضح لنا من هذا ، أنّ ابن سلام ، بحسه النقدي ، يدرك تماما أهمية علامات الإعراب في تحديد المعنى النحوي ودلالة التركيب .

أما على المستوى الدلالي للألفاظ المفردة ، فيتطرق ، في أكثر من موضع ، إلى شرح الألفاظ ، وبيان ما تؤديه من مختلف المعاني، فيقول مثلا : " قال الفضل : لَيْلَةٌ

---

[1]- سورة الأنعام .

[2]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 20 .

بَهْرَةٌ : إذا كان قمرها مضيئا ."[1] ويقول في لفظة [ الشمام ]، الوارد ذكرها في قول الفرزدق :

ثَلاَثٌ وَاثْنَتَانِ، فَهُنَّ خَمْسٌ، وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى الشَّمَامِ .

يقول : "الشَّمَامُ : المُشَامَّةُ ."[2]

ولم يكتف ابن سلام بالبحث في دلالة الألفاظ ، بل تجاوز ذلك إلى البحث في دلالة التراكيب ، فأورد ما قيل في معنى [ صَفِرَ الوِطَابُ ]، في قول امرئ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ وَبِالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ العِقَابُ

وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضًا، وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ، صَفِرَ الوِطَابُ .

قائلا : " سمعت رجلا يسأل يونس عن قوله [ صَفِرَ الوِطَابُ ]، فقال : سألنا رؤبة عنه، فقال : لو أدركوه قتلوه، وساقوا إبله، فصفرت وطابه من اللبن .

وقال غيره : صَفِرَ الوِطَابُ : أي إنه كان يُقْتَل ، فيكون جسمه صفرا من دمه، كما يكون الوطاب صفرا من اللبن ."[3]

كما يشير ابن سلام إلى اختلاف معاني الألفاظ باختلاف لهجات القبائل العربية، فيذكر أنّ عيسى بن عمر، في معرض حديثه عن قول النابغة :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ، فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ .

" كان يختار [ السُّمَّ وَالشَّهْدَ ]، وهي علوية ."[4]وعلوية : نسبة إلى عالية، على غير قياس، والمقصود بها : قرى بظاهر أرض الحجاز اشتهر أهلها بالفصاحة ،[5] فهم يقولون : [ السُّمَّ وَالشُّهْدَ ]، على وزن [ فُعْل ]، عوض [ السَّمّ وَالشَّهْد ] على وزن [ فَعْل] .

---

[1]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 41 .

[2]- المصدر نفسه : ص 45 .

[3]- المصدر نفسه : ص 53 .

[4]- المصدر نفسه : ص 16 .

[5]- ينظر دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط 3 - 1971 م ، 6 / 634 .

وعلى المستوى الصوتي ، يورد ابن سلام لفظي : [ السَّوِيق والصَّوِيق ]، وكلاهما ضرب من الشراب يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحلق .[1]

فيقول : ".. وقلت ليونس : هل سمعت من ابن إسحاق شيئا ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد [ الصَّوِيق ] ؟ يعني : [ السَّوِيق ] ، قال : نعم، عمرو بن تميم تقولها ."[2]

فابن سلام يشير بهذا، إلى اختلاف نطق اللفظ الواحد باختلاف العوامل البيئية لدى القبائل ، كالعزلة وعدم الاحتكاك بالآخرين .

وينتقل بعد ذلك ، إلى الحديث عن المستوى الإيقاعي في الشعر، فيبسط القول في جملة من عيوب الشعر، فيورد ما ذكره يونس من عيوب الشعر، كالزحاف، والسناد، والإقواء ، والإيطاء .[3]

ولا يكتفي بهذا ، بل يسترسل في شرح هذه المصطلحات شرحا علميا دقيقا،فيقول : " والزحاف أهونها ، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء ، فينكره السمع،ويثقل على اللسان ، وهو في ذلك جائز . والأجزاء مختلفة ، فمنها ما نقصانه أشنع "[4] ويوضحه بقول الهذلي :

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ  سِوَاكَ خَلِيلاً شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا .

ويعقب عليه بقوله : " فهذا مزاحف في كاف ' سواك '، وهو خفيّ ، ومن أنشده :

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ  خَلِيلاً سِوَاكَ شَاتِمِي تَسْتَخِيرُهَا .

فهذا أفظع ، وهو جائز ."[5] ويقول أيضا : " الإقواء : هو الإكفاء ، مهموز ، وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة ، وأخرى مخفوضة ، وهو في شعر الأعراب كثير ، دون الفحول من الشعراء ، ولا يجوز لمولّد ، لأنهم قد عرفوا عيبه ،

---

[1] - ينظر المعجم الوسيط : ص 465 .

[2] - طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 68 .

[3] - ينظر المصدر نفسه ، ص15.

[4] - المصدر نفسه ، ص 68 .

[5] - المصدر نفسه ، ص 69 .

والبدوي لا يأبه له ، فهو أعذر ."[1] ويضيف ، مشيرا إلى شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ، قائلا : " ولم يُقْوِ من هذه الطبقة ، ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين، هما :

أَ مِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدي  عَجْلاَنَ ، ذَا زَادٍ ، وَغَيرَ مُزَوَّدِ

زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا،  وَبِذَاكَ خَبَّرَنَا الغُدَافُ الأَسْوَدُ .[2]

وهكذا يستمرّ في شرح هذه العيوب، وكأنه يستحضر مقولته في مفهوم الشعر : (.. ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان .)[3]

ليلفت نظرنا إلى أنّ الوزن من العناصر المهمة التي لا يستغني عنها الشعر، ومراعاته تكسب الشعر نوعا من الانسجام والتناغم بين أجزائه ، بحيث يصبح مستساغا للآذان ، غير ناب عن الأسماع .

**2.4 - النقد الفني .**

وهو النقد الذي يتعامل مع الأثر الأدبي وفق التأثر الذاتي للناقد في المقام الأول ، دون إغفال العناصر الموضوعية ، والأصول الفنية اللازمة لهذا الأثر . فهو " منهج ذاتي موضوعي ، وهو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب ، وطبيعة الفنون على وجه العموم ."[4]

ولم يفت ابن سلام أن يولي عنايته بهذا النوع من النقد ، ولعل ذلك يبدو جليا في صنيعه بالشعراء المخضرمين ، إذ لم يفردهم بطبقة مستقلة ، وإنما ألحقهم ، إما بنظرائهم من الجاهليين ، فصنف كعب بن زهير والحطيئة في الطبقة الثانية[5] ،

---

[1] - طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 71 .

[2] - المصدر نفسه : ص 67 .

[3] - المصدر نفسه : ص 5 .

[4] - النقد الأدبي ( أصوله ومناهجه ) : سيد قطب ، دار الشروق ، ط 6 - 1990 م ، ص 132.

[5] - ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 97 .

والنابغة الجعدي ، وأبا ذؤيب الهذلي ، والشماخ بن ضرار، ولبيد بن ربيعة في الطبقة الثالثة ،[1] والنمر بن تولب في الطبقة الثامنة ،[2] وضابئ بن الحارث ، وسحيم عبد بني الحسحاس في الطبقة التاسعة ،[3] وأمية بن حرثان ، وحريث بن محفظ ، وعمرو بن شأس في الطبقة العاشرة .[4]

وإمّا بنظرائهم الإسلاميين ، فوضع كعب بن جعيل ، وعمرو بن أحمر الباهلي، وسحيم بن وثيل الرياحي ، في الطبقة الثالثة ،[5] وحميد بن ثور الهلالي في الطبقة الرابعة ،[6] وأبا زيد الطائي في الطبقة الخامسة .[7]

علما بأنّه صرح في مقدمة كتابه ، بأنه سيقسم الشعراء إلى جاهليين وإسلاميين ومخضرمين ، وفق التقسيم الزمني ، فقال : "... ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، فنزلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ."[8]

فما الذي حمل ابن سلام على التصريح مقدما ، بأنه سيتناول الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمخضرمين ، فإذا به لا يخص المخضرمين بطبقة مستقلة ؟

وما الذي حمله على عدم اعتماد الزمن أساسا للتقسيم الطبقي بالنسبة إلى الشعراء المخضرمين تحديدا ؟

يبدو أنّ ابن سلام انطلق من التسليم مبدئيا، بما درج عليه العرب من تقسيم ثلاثي وفق الزمن ، لكنه عند الفحص والنظر اهتدى إلى أنّ تحكيم عامل الزمن ، بالنسبة إلى المخضرمين تحديدا، غير مجد في إنزالهم المنزلة التي يستحقونها، لأنهم

---

[1]- ينظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 1 / 123.

[2]- المصدر نفسه : ص 159.

[3]- المصدر نفسه : ص 171.

[4]- المصدر نفسه : ص 189.

[5]- المصدر نفسه : ص 571.

[6]- المصدر نفسه : ص 583.

[7]- المصدر نفسه : ص 593.

[8]- المصدر نفسه : ص 23.

في مرحلة انتقال من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي ، ومن ثم فشعرهم لم تكتمل خصائصه وملامحه التي تميزه بوضوح عن الشعر الجاهلي .

ولعل هذا ما يفسر أنّ ابن سلام " لم يعتبر الشاعر الذي عاش ما عاش في الجاهلية ثم أدرك الإسلام أنّه انقلب رأسا على عقب في نتاجه الشعري ، فلم يحدث هذا في تاريخ المسلمين ، ولا في تاريخ غيرهم .[1]

فابن سلام محق ، والحالة هذه ، في العدول عن اعتماد الزمن أساسا لتقسيم الشعراء المخضرمين ، بحكم أنّ هذا لا يفي بالغرض المطلوب .

ولم يكتف بهذا ، بل جاء بالبديل المناسب ، فحكم الجانب الفني في هذه المسألة ، إيمانا منه بأن الجانب الفني كفيل بتحقيق الغرض المطلوب ، وهو إنزال الشعراء المخضرمين المنزلة التي يستحقونها ، بناء على الفحص والنظر في الخصائص الفنية لشعرهم . يقول عن الشماخ : ". .. فأما الشماخ ، فكان شديد متون الشعر، أشدّ أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقا ."[2]

فابن سلام يستخلص الملامح الشكلية العامة لشعر الشماخ ، فيصف عباراته وألفاظه بالشدة وينفي الضعف والاسترخاء عن أسلوبه في نظم الشعر . خلافا لشعر لبيد الذي تلمس فيه مسحة من الرقة والليونة .

ويقول عن الحطيئة :" وكان الحطيئة متين الشعر، شرود القافية ."[3] إشارة منه إلى قوة شعره ، وسرعة انتشاره على الألسن في المواسم والأسواق .

ويقول عن كثيّر: ". .. وكان فصيحا ، كثير الغريب ، متمكنا في الشعر ."[4]

واحتكام ابن سلام إلى الجانب الفني- وإن كان في الشعراء المخضرمين أظهر- إلا أنه لا يقصره على المخضرمين ، أو يحصره في الشكل ، وإنما يستحضره في نقد سائر الشعراء الذين اختارهم عيّنة لبحثه ، ويعتمده في مضامين الشعر أيضا : فزهير

---

[1]- ابن سلام وطبقات الشعراء : منير سلطان ، ص 216 .

[2]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 132 .

[3]- المصدر نفسه : ص 104.

[4]- المصدر نفسه : ص 132.

عنده، " أحصف الشعراء شعرا، وأبعدهم من سخف ."[1] وهو إلى جانب ذلك ، " لا يمدح الرجل إلاّ بما فيه ."[2]

فابن سلام يوجه انتقاده هنا ، إلى المضمون ، فيبدي استحسانه لشعر زهير لما يتضمنه من حكمة وأصالة في الرأي ، فضلا عن الصدق والابتعاد عن المبالغة .

وهكذا يفعل مع العديد من الشعراء ، فيتعقب اتجاههم العام في قول الشعر، يقول : ". .. فكان من الشعراء من يتألّه في جاهليّته، ويتعفف في شعره ، ولا يَسْتَهْرُ بالفواحش ، ولا يتهكّم في الهجاء ."[3]

وهذه إشارة نقدية منه إلى ضرورة التزام الشاعر بالقيم والأعراف السائدة .

أما إخلال الشاعر بهذه القيم ، وعدم التزامه بالتقاليد ، فحقه الاستهجان .

وقد أشار ابن سلام إلى ذلك،قائلا : "ومنهم من كان ينعى على نفسه ويتعهّر."[4]وضرب أمثلة بامرئ القيس ، في قوله :

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ، فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ .

وقوله :

دَخَلْتُ، وَقَدْ أَلْقَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا، لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ.

وقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا، بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا، سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ .

وبالأعشى، في قوله :

فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا ، وَظَلَّ يَحُوطُها ، حَتَّى دَنَوْتُ إِذِ الظَّلاَمُ دَنَا لَهَا .

وبالفرزدق، في قوله :

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ، كَمَا اِنْقَضَّ بَازٍ ، أَقْتَمُ الرِّيشِ ، كَاسِرُهْ

فَإِمَّا اِسْتَوَتْ رِجْلاَيَ فِي الأَرْضِ نَادَتَا : أَحَيًّا يُرَجَّى ، أَمْ قَتِيلاً نُحَاذِرُهْ ؟

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 64 .

[2]- المصدر نفسه : ص 63 .

[3]- المصدر نفسه : ص 41 .

[4]- المصدر نفسه .

فَقُلْتُ : إِرْفَعُوا الأَسْبَابَ لاَ يَفْطُنُوا بِنَا ! وَوَلَّيْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أُبَادِرُهْ

وَأَصْبَحْتُ فِي القَوْمِ الجُلُوسِ، وَأَصْبَحَتْ مُغَلَّقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهْ

ويضيف ابن سلام ، قائلا : قالها وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم ، وهو وال على المدينة ، فأجّله ثلاثا ، ثمّ أخرجه عنها ."[1]

فابن سلام يتحدث هنا ، عن صنفين من الشعراء ، لشعرهم صلة وثيقة بالجانب الأخلاقي ، والعادات والأعراف المتبعة ، وإذا كان لم يصرح بالغاية من وراء صنيعه هذا ، فإنّه يستفاد منه أنّ تعقّف الشاعر وتعهّره مما يمكن أن يؤثر في الحكم الجمالي على شعره .[2]

### 3.4 - النقد التوثيقي.

لا شكّ أنّ قضية انتحال الشعر ووضعه ليست وليدة اليوم، وليست وقفا على أشعار شعراء العرب في الجاهلية ، وإنما هي ظاهرة معروفة في الآداب العالمية قديمها وحديثها : فعند الإغريق القدامى - على سبيل المثال- أثيرت قضية من أعسر القضايا النقدية حول الشاعر الإغريقي ( هوميروس ) ، صاحب الإلياذة والأوديسا وهو من هو تأثيرا في الشعر والشعراء ، إذ ظل منهل كل من جاء بعده ، من كبار النقاد والأدباء في الأدب الإغريقي والروماني ، ثم الأدب الأوربي والعالمي[3]. فملاحم (هوميروس ) ، هي أقدم ما انتقل إلينا ، عن طريق الرواية المسموعة ، مثلها كمثل الشعر القديم لدى سائر الشعوب والأمم .

ومن ثم ، بدأت بذور الشك تتسرب إلى هذه الأشعار، فكتب العلامة الألماني ف. أ. فولف ( F.A. Wolf) كتابا سمّاه : ' مدخل إلى هوميروس '، نشر سنة 1795 م .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 41 .

[2]- ينظر التفكير النقدي عند العرب : عيسى علي العاكوب ، ص 121.

[3]- ينظر الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا : د. أحمد عتمان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، العدد 77، مايو 1984 م ، ص 13.

ومؤدّى ما ذهب إليه، في هذا الكتاب ، أنّ ملاحم هوميروس لم تدوّن في عصر نشأتها ، لأنّ فنّ تدوين الأدب وغيره ، لم يكن معروفا آنذاك ، فضلا عن أنّ طول النفس الشعري في ملحمتي هوميروس فوق طاقة الذاكرة البشرية ، فيستحيل حفظ هذه الأشعار، ونقلها عبر العصور المتعاقبة من جيل إلى آخر .

ومن ثم، خلص إلى القول بأنه ربما كان هناك شاعران بهذا الاسم : أحدهما نظم الإلياذة ، والآخر هو مؤلّف الأوديسا .[1]

أما في الأدب العربي،فلا يخلو عصر من العصور الأدبية المتعاقبة من هذه الظاهرة على تفاوت في استفحالها بين عصر وآخر .

ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الشعر وحده ، بل لقد شملت كل ما يمت إلى الأدب العام بصلة : كالنسب والأخبار، منذ الجاهلية نفسها .

وخلاصة القول فيها أنّ ما بين أيدينا من شعر الجاهلية، وكذلك صدر الإسلام ، لا يصح التسليم بصحته كله ، كما لا يصح الحكم ببطلانه كله .

وإنّما منه ما هو صحيح ، لا غبار عليه ، ومنه ما هو فاسد مصنوع ، أو مفتعل منسوب لغير قائله الحقيقي . والعمدة في معرفة ذلك كله ، إنما هي جهود أثبات العلماء والرواة ، الذين فحصوا ومحّصوا ، واهتدوا إلى أنّ الشعر الجاهلي كان عرضة ، منذ الجاهلية وصدر الإسلام ، للوضع والانتحال والتصحيف : فهذا أبو عبيدة، يقول :" كان قُراد بن حَنَش من شعراء غطفان ، وكان قليل الشعر جيّده ، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره ، فتأخذه فتدّعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ادّعى هذه الأبيات :[2]

إنَّ الرَّزِيَّةَ، لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُهَا، مَا تَبْتَغِي غَطَفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتِ

إنَّ الرِّكَابَ لَتَبْتَغِي ذَا مِرَّةٍ، بِجَنُوبِ نَخْلَ، إِذَا الشُّهُورُ أَحَلَّتِ

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ لَنَا،إِذَا نَهَلَتْ مِنَ العَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ

---

[1]- ينظر الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا : د. أحمد عتمان، ص 13 .

[2]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ، 2 / 733 .

يَنْعَوْنَ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ كَرِيهَةٍ، عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُمْ هُنَاكَ، وَجَلَّتِ .

ومن ذلك أيضا ، ذكره خمسة أبيات للحارث بن حلّزة ، في إنكار الطيرة ، وهي :

يَا أَيُّهَا المُزْمِعُ ثُمَّ اِنْثَنَى، لاَ يَثْنِكَ الحَازِي، وَلاَ الشَّاحِجُ ،

وَلاَ قَعِيدٌ أَعْضَبٌ قَرْنُهُ، هَاجَ لَهُ، مِنْ مَرْبِعٍ، هَائِجُ

بَيْنَا الفَتَى يَسْعَى، وَيُسْعَى لَهُ، تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ

يَتْرُكُ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ، يَعِيثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ

وَلاَ تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا، إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا النَّاتِجُ

ثم قال أبو عبيدة : "أنشدنيها أبو عمرو، وليست إلاّ هذه الأبيات ، وسائر القصيدة مصنوع مولّد" .[1]

وقد أورد أيضا ، أربعة أبيات لعوف بن عطية التيمي ، أولها :

هَلاَّ فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُمُ ، عُشَرًا تَنَاوَحُ فِي سَرَارَةِ وَادِ .

ثم قال : " وبقية هذه القصيدة مصنوعة ."[2]

وهذا عمرو بن العلاء ، يقول : " إنّه لا يصح من أبيات ذي الإصبع الضادية إلاّ هذه الأبيات التي أنشدها ، وأنّ سائرها منحول ."[3] إشارة منه إلى قوله :

وَلَيْسَ المَرْءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ

إِذَا يَفْعَلُ شَيْئًا خَا لَهُ يَقْضِي وَمَا يَقْضِي

جَدِيدُ العَيْشِ مَلْبُوسٌ، وَقَدْ يُوشِكُ أَنْ يُنْضِي .

وذهب أبو عمرو أيضا ، إلى القول بأن القصيدة المنسوبة إلى امرئ القيس، والتي مطلعها :

لاَ وَأَبِيكِ ، اِبْنَةَ العَامِرِ يِّ ، لاَ يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرّْ

---

[1]- الحيوان : الجاحظ ، 3 / 449 .

[2]- نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة معمر بن المثنى ( ت 209 هـ ) ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط1- 1998، 1 / 167 م .

[3]- الأغاني : الأصفهاني، 3 / 64.

إنما هي لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم ، وعدّتها عنده اثنان وأربعون بيتا، ومطلعها :

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو، كَأَنِّي خَمِرْ وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ .[1]

ومن أمثلة ذلك،مطلع معلقة عنترة بن شداد :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ، أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ ؟

فإنّ أكثر الرواة ينفون نسبة هذا المطلع إلى عنترة بن شداد،وفي مقدمتهم الأصمعي وابن الأعرابي، ومطلع معلقة عنترة عندهما :

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِوَاءِ ، تَكَلَّمِي ، وَعِمِي صَبَاحًا ، دَارَ عَبْلَةَ ، وَاسْلَمِي .[2]

ولعل الأصمعي أكثرهم نصيبا من رواية الأخبار في هذه القضية ، وهو القائل : "أقمت بالمدينة زمانا ، ما رأيت بها قصيدة صحيحة إلاّ مصحفة أو مصنوعة ."[3] وهو القائل أيضا : " ويقال إنّ كثيرا من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه ."[4] ولم يكتف بالإشارات النقدية العامة ، بل كثيرا ما يشير إلى بيت أو أبيات بعينها طالها الانتحال ، أو نسبت لغير قائلها ، كقوله : " الناس يروون لأميّة بن أبي الصلت القصيدة التي فيها :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً، يَمُتْ هَرَمًا ، المَوْتُ كَأْسٌ ، فَالمَرْءُ ذَائِقُهَا .

قال : وهذه لرجل من الخوارج .[5]

---

[1]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 4 - 1997 م ، 1 / 374 .

[2]- ينظر الأغاني : الأصفهاني ، 9 / 164.

[3]- المزهر : السيوطي ، 2 / 413 .

[4]- الموشح : المرزباني ، ص 45 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 96 .

أما ابن سلام الجمحي ، فلم يدّع أنّه كان رائدا في بحث قضية الوضع والانتحال، ولم يأت فيها بجديد ، اللهم المنهج الذي اعتمده في بحثها ، حيث تناولها بطريقة أكثر تفصيلا وتنظيما ، ولم يكتف بالوقوف عندها بل تجاوز ذلك إلى البحث بإسهاب ، في مختلف الأسباب والدوافع التي أدّت إليها .

وقد أولى ابن سلام هذه القضية عناية فائقة ، فعرض لها بصورة مفصلة ، مشيرا في مقدمة كتابه ، إلى أنّ الشعر العربيّ ، منه ما هو صحيح يجب قبوله والأخذ به ، ومنه ما هو مصنوع مفتعل ، خال من كل القيم التاريخية والفنية، يجب تركه والاحتراس منه . يقول :" وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ، ولا حجة في عربية ، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب مستطرف . وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية ، ولم يعرضوه على العلماء . وليس لأحد- إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه - أن يَقْبَل من صحيفة ، ولا يُروى عن صحفي ."[1]

فابن سلام يثير هنا مسألة ، في غاية الأهمية ، هي أنّ الشعر الفاسد يحمل علة فساده في داخله ، وهي خلوه من المواصفات التي ذكرها [ الحجة في العربية - المعنى والأدب المستفاد - المثل والحكمة - المديح الرائع - الهجاء المقذع - الفخر المعجب - النسيب المستطرف ] .

وبالمقابل، فإنّ الشعر الصحيح هو ما استوفى هذه المواصفات، أو أغلبها على الأقل وهناك علة من خارج النص الشعري ، تفضي بالضرورة ، إلى فساده ، وهي عدم اعتماد المرجعية الصحيحة [ أهل البادية ]، وعدم الأخذ بالرواية الموثوقة في معرفة النص الشعري وتوثيقه . ومثال هذا ، ما سبق أنْ ذكرناه ، لكن في سياق آخر، من أنّ ابن سلام قد تعقب صنيع ابن إسحاق في السيرة ، مفنّدا الكثير من أخباره ، بجملة من الأدلة العقلية ، والأدلة النقلية ، واصفا إياه بأنه كان :" ممن أفسد

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 4 .

الشعر وهجّنه وحمل كلّ غثاء منه. .. .. فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله . ولم يكن ذلك له عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قطّ ، فضلا عن أشعار النساء ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلّف معقود بقواف. .. "[1]

ولا يغني ابن إسحاق تحججه بالقول إنّ الشعر ليس من اختصاصه ، فربّ عذر أقبح من ذنب .

كما عرض ابن سلام لحماد الراوية ، واصفا إياه بأنّه " كان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار."[2]

فحماد الراوية - خلافا لابن إسحاق - خبير بالشعر، متمرس بدقائقه وخفاياه ، مما يجعل عملية النحل دقيقة خفية ، فيعسر حتى على المتخصص، التمييز بين الشعر الصحيح والشعر المنحول . وقد أشار ابن سلام إلى ذلك ، في معرض حديثه عن عدي بن زيد ، قائلا : " فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلّط فيه المفضّل فأكثر."[3]

وهكذا، يمضي ابن سلاّم في الإعراب عن شكّه في مدى صحة هذا الشعر أو ذاك، في عدة مواضع من كتابه : فحسان بن ثابت كثير الشعر جيّده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ."[4] والأسود بن يعفر " له ثلاثون ومئة قصيدة ، ونحن لا نعرف له ذلك ، ولا قريبا منه ."[5]

فمن الواضح أنّ ابن سلام ، لم يغب عنه ما أدخل في الشعر العربي مما ليس منه ، ولم يفته التنبيه على ما كان من تلفيق الرواة ، ووضع الدساسين من أهل الأهواء .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 8 .

[2]- المصدر نفسه : ص 48 .

[3]- المصدر نفسه : ص 140.

[4]- المصدر نفسه : ص 215 .

[5]- المصدر نفسه : ص 148.

ويرجع ابن سلام ظاهرة الوضع والانتحال إلى جملة أسباب ودوافع ، تضافرت جميعا ، لتؤدي، في نهاية المطاف ، إلى نتيجة واحدة ، هي قضية وضع الشعر ونحله، على تفاوت بينها في درجة الاستفحال بين عصر وآخر .

ويمكن إجمال هذه الأسباب ، في سببين مهمين ، هما :

**○- حرص العشائر على التفاخر بمناقبها :**

ذلك أنّه بعد مجيء الإسلام، صرف المسلمون اهتمامهم إلى الجهاد والفتوحات . " فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ."[1] وفي غضون ذلك، أُستشهد العديد من حفظة الشعر، فضاع منه الكثير . قال أبو عمرو بن العلاء : " ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا ، لجاءكم علم وشعر كثير ."[2]

لكن بعد أن استتبّ الأمر، واستقرّت الأوضاع ، وصار الإسلام في مركز قوة ، لم تعد هناك حاجة للتشاغل عن الشعر ، بل صارت مراجعته وإحياؤه ضرورة ملحة .

ولما لم يكن مدونا في كتاب يرجع إليه عند الحاجة ، فتح ذلك بابا واسعا للتزيد فيه بقصد التفاخر وذكر المناقب . يقول ابن سلاّم في ذلك : " فلمّا راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيّامها ومآثرها ، استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم ."[3] ويقول عن طرفة وعبيد : " فلمّا قلّ كلامهما، حمل عليهما حمل كثير .[4]

فالقبائل كانت لا تألو جهدا في تضخيم أشعار شعرائها والتزيد فيها .

ولعلّ حسان بن ثابت ، رضي الله عنه ، كان أكثر الشعراء عرضة للحمل عليه . يقول ابن سلام ، في حديثه عن طبقات شعراء القرى العربية : " أشعرهم حسان

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 8 25 .

[2]- المصدر نفسه.

[3]- المصدر نفسه. ص 46 .

[4]- المصدر نفسه : ص26 .

بن ثابت، وهو كثير الشعر جيّده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد. لما تعاضهت قريش واستتبّت ، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقّى ."[1]

ومن هذا القبيل ، ما ذكره ابن سلام من أنّ من أبناء الشعراء وأحفادهم ، مَنْ تولّى مهمة اختلاق الأشعار وعزوها إلى ذويهم ، وضرب لنا مثلا بابن داود بن متمم بن نويرة ، فروى لنا قصته مع أبي عبيدة ، الذي حكى عنه قائلا " قدم البصرة ، في بعض ما يقْدم له البدويّ من الجَلَب والمِيرة ، فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاري، فسألناه عن شعر أبيه متمم ، وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته ، فلما نَفِد شعر أبيه ، جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا ، وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك، علمنا أنّه يفتعله ."[2]

○- **فعل الرواة والقصاص :**

كان من السهل ، بعد ذلك، أن يبادر الرواة والقصاص إلى الشعر، فيعيثوا فيه فسادا بامتياز، بالوضع تارة، وبالانتحال تارة أخرى ، أو بالتصحيف .

" ثم كانت الرواة بعدُ، فزادوا في الأشعار التي قيلت ."[3]زيادة تتفق والأغراض التي ينشدون تحقيقها ،كاسترضاء الملوك وذوي النفوذ،لجلب المزيد من الكسب الماديّ، المتمثل فيما يدرّه هؤلاء الملوك من مال وعطايا على هؤلاء الرواة. وهذا الصنف من الرواة لا يهمهم أمر صحة ما يروون من أشعار، ما دامت هذه الأشعار تفي بغرضهم.

من ذلك ما أورده ابن سلام من أنّ البيتين الآتيين محمولان على لبيد :

بَاتَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً، وَقَدْ حَمَلْتُكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينِ

فَإِنْ تَعِيشِي ثَلاَثًا،تَبْلُغِي أَمَلاً، وَفِي الثَّلاَثِ وَفَاءٌ لِلثَّمَانِينِ .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 215 .

[2]- المصدر نفسه : ص 47 .

[3]- المصدر نفسه : ص 46.

ثم علق عليهما بقوله : " ولا اختلاف في أنّ هذا مصنوع ، تُكَثَّر به الأحاديث، ويستعان به على السهر عند الملوك، والملوك لا تستقصي ."[1]

وقد كان لحماد الراوية النصيب الأوفر، في هذا المجال، مما جعل يونس يقول فيه : " العجب ممن يأخذ عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر ."[2]

وحماد الراوية لا يتورع أن ينحل طرفة شعر الأعشى ، استرضاء لعمر بن سعيد بن وهب الثقفي، وهو القائل : " كان حماد لي صديقا ملطفا، فعرض عليّ ما قِبَلَه يوما ، فقلت له : أملِ عليّ قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك ، لطرفة ، فأملى عليّ :

إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلُهْ ، وَلِذَاكَ زُمَّتْ غُدْوَةً إِبِلُهْ

عَهْدِي بِهِمْ فِي النَّقْبِ قَدْ سَنَدُوا تَهْدِي صِعَابَ مَطِيِّهِمْ ذُلُلُهْ

وهي لأعشى هَمْدان ."[3]

فواضح أنّ كل الدلائل تشير إلى أنّ ابن سلاّم انتهى إلى نتائج في غاية الأهمية، وقد استعان في ذلك، بمنهجه العلمي الممتاز . من هذه النتائج :

○-لا قيمة لما نسب إلى عاد وثمود من أشعار ، لسبب بسيط هو أنّها أشعار مختلقة ، لا تصحّ بحال من الأحوال . " فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ، ولا نجد لأوّليّة العرب المعروفين شعرا . فكيف بعاد وثمود ؟"[4]

○- إنّ كلّ ما نسب إلى حمير وجنوب اليمن من أشعار بلغة قريش ، لا أصل له ، فهو مجرّد تلفيق وادّعاء . قال أبو عمرو بن العلاء في ذلك : " ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيّتهم بعربيّتنا . فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهنه ؟ "[5]

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 61.

[2]- المصدر نفسه : ص 49.

[3]- المصدر نفسه، ص 48.

[4]- المصدر نفسه، ص 11 .

[5]- المصدر نفسه .

○- ضياع معظم الشعر العربي الجاهلي ، بحيث لم يبق منه إلاّ أقلّه، نظرا لصرف العرب اهتمامهم إلى الجهاد من ناحية، وهلاك العديد من حملة الشعر من ناحية أخرى . وفي ذلك يقول عمرو بن العلاء : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا ، لجاءكم علم وشعر كثير ."[1]

○- إنّ العديد من الرواة غير الموثوقين - وفي طليعتهم حماد الراوية - قد اتخذوا وضع الشعر والتزيد فيه مهنة مفضلة لهم، فزادوا في بعض الأشعار. فحماد الراوية كان " أوّل من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها، وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ، ويزيد في الأشعار ."[2]

هذه هي أهم النتائج التي توصل إليها ابن سلاّم ، والأسباب التي ساقها لبيان ما طال الشعر الجاهلي من انتحال وتزييف وزيادة .

وعلى الرغم من أنّ قضية الانتحال والتزيد في الأشعار لم تكن غائبة عن الأقدمين، الذين عرضوا للشعر فنقدوه نقدا دقيقا ، يقوم على التمحيص والتثبت ، سواء من جهة الشكل وصياغة الألفاظ ، أو من جهة الرواية ، فإنّ بعض المستشرقين أبوا إلاّ أن يثيروا ضجة صاخبة حول هذه القضية، التي لم يأتوا فيها بجديد يذكر، اللّهمّ إلاّ الإفراط والمبالغة في زرع بذور الشك في صحة الشعر الجاهلي ، والخلوص إلى إنكاره إنكارا مطلقا ، بحجج هي أقرب إلى الهوى والمكابرة ، منها إلى البحث العلمي النزيه ، والبرهان العقلي ، مما جعل الأخذ عن المستشرقين مقرونا ، عند الباحثين العرب ، بالشك والريبة في مدى صحة ما يذهبون إليه في مجال الأدب ، وفي غيره من حقول المعرفة .

---

[1]- طبقات فحول الشعراء : ابن سلا م ، 1 / 25.

[2]- المصدر نفسه : ص 48.

يقول مصطفى صادق الرافعي : "وما كان لنا أن نأخذ عن القوم- يعني المستشرقين- في الأدب العربي إلا بتمريض واحتراس ."[1] وهذا اتجاه في البحث محمود، لأنه يتخذ الحيطة والاحتراس من أقوال المستشرقين مبدأ لتحري الحق، والوصول إلى النتائج المطلوبة .

ووددت لو أنّ الأديب الفاضل لم يقصر هذا المبدأ على المستشرقين، بل جعله مبدأ عاما يصدق على المستشرقين، وعلى غيرهم من الباحثين العرب، الذين حذوا حذو المستشرقين شبرا بشبر، وبالغوا في إعظامهم وإكبارهم ، وعدم سوء الظنّ بهم،واعتراهم النقص والضعف وعدم الثقة بالنفس أمام الباحثين الغربيين .

على أنّه من الإنصاف القول إنّ هناك فئة من المستشرقين المنصفين الذين تحلّوا بالإنصاف والإخلاص للحق والبعد عن العصبية والهوى ، فكان لهم فضل لا ينكر على الأدب العربي إذ أقبلوا على التراث العربي ينفضون عنه الغبار، وينشرون كنوزه الدفينة[2].

وسوف لن أخوض في الحديث عن جميع المستشرقين لكثرة الباحثين الذين خاضوا في الحديث عنهم سلبا أو إيجابا، وإنما أقصر حديثي هنا ، على مستشرق واحد أثارت آراؤه في الشعر الجاهلي ضجة صاخبة في أوساط المهتمين بالدراسات الأدبية ، سواء أعربا كانوا أم عجما، ألا وهو المستشرق،الإنجليزي صمويل مرجليوث الذي كتب مقالة مستوفاة للحديث عن وضع الشعر الجاهلي والتشكيك فيه، نشرها في (مجلة الجمعية الملكية الأسيوية)سنة1925م، ثم طبعت في كتاب يحمل العنوان الأصلي للمقالة، وهو : أصول الشعر العربي ، ترجمه وعلق عليه د . إبراهيم عوض ، ونشرته دار النفائس سنة2006 م .

---

[1]- تحت راية القرآن ( المعركة بين القديم والجديد ) : مصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به درويش الجويدي ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط 1 - 2002 م ، ص 177.

[2]- ينظر الاستشراق والمستشرقون : د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع ، ص 86 .

كما أقف عند باحث عربي واحد، هو الدكتور طه حسين، لأتبين مدى صحة ما اتهم به من أنه أخذ فكرته عن الشعر الجاهلي عن مرجليوث .

أما مرجليوث ، فقد أعرب في مقالته هذه ، عن شكه في وجود أيّ شعر أو شعراء جاهليين[1]، بدعوى أنّ ما يسمى بالشعر الجاهلي لا يمثل من قريب أو بعيد، الحياة الجاهلية ، إن لم نقل إنّه يغلب عليه طابع الروح الإسلامية، بدليل ما يوجد فيه من إشارات إلى القصص القرآني، وما يتضمنه من ألفاظ إسلامية، فضلا عن أنّه خال من جوّ الآلهة المتعددة بالنسبة إلى الشعراء الوثنيين .[2]

ويخلص إلى القول بأنّ القصائد الجاهلية تدل على أنّها نظمت بعد ظهور القرآن، والسبيل إلى معرفة أحوال العرب في الجاهلية إنّما هو القرآن[3] .

ويشير إلى حفظ الشعر الجاهلي قائلا : " لو فرضنا أنّ هذا الشعر حقيقي، فكيف حفظ ؟ لا بدّ أنّه حفظ إمّا بالكتابة ، وإمّا بالرواية الشفهية ، - وهو الرأي الذي يذهب إليه المؤلفون العرب - مع أنه ليس بالرأي الذي يجمعون عليه "[4].

ثم يشك - كعادته - في أن يكون الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفهية ، لأنّ هذه العملية تتطلب أفرادا وقفوا أنفسهم على القيام بهذه المهمة ونقلها إلى الأجيال بعدهم . على أنّ أمثال هؤلاء الأفراد - برأيه - لم يثبت وجودهم . إضافة إلى رغبة الإسلام في استبعاد كل ما يمتّ إلى الجاهلية بصلة بما في ذلك الشعر .

ثم ينتقل إلى افتراض انتقال هذا الشعر عبر الكتابة، فينفيه أيضا [5] .

أما طه حسين ، فقد أثار كتابه ' في الشعر الجاهلي ' ردود فعل شديدة لدى كثير من العلماء والأدباء آنذاك ، فبادروا إلى نقده ونقض ما جاء فيه . على أنّ ردود الفعل هذه ، جاءت متباينة ، فتجاوز بعضها حدود الموضوع إلى المؤلف نفسه ، واتهامه في

---

[1]- ينظر أصول االشعر العربي، مرجليوث، ص 423.

[2]- المصدر نفسه .

[3]- ينظر المصدر نفسه ص 423.

[4]- المصدر نفسه.

[5]- ينظر المصدر نفسه ، ص 423.

عقيدته ، واتسم بعضها الآخر بالاعتدال في الحكم ، والتزام الأسلوب الهادئ في قرع الحجة بالحجة ، في صورة كتب نقدية ، منها : تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي ، ونقض كتاب في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين ، ونقد كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد فريد وجدي ، والشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعة . ولعل أهم ما أجمع عليه أصحاب هذه الكتب هو أنّ آراء الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي إنْ هي - في خطوطها العريضة - إلاّ ترديد لآراء مرجليوث، وأنّ طه حسين لم يجرؤ على ردّها إلى أصولها ونسبتها إلى قائلها الحقيقي، بل ادعاها لنفسه ، وألبسها أسلوبه الفني وبيانه الأخّاذ، للوصول إلى القول بأن الشعر الجاهلي وضع بعد ظهور الإسلام لأسباب مختلفة . فهو ينكر - كما فعل مرجليوث - أن يكون الشعر الجاهلي ممثلا للحياة الجاهلية، التي يرى أنّه لا يمكن دراستها إلا من خلال نصوص القرآن، فيقول :".. ذلك أنّي لا أنكر الحياة الجاهلية ، وإنما أنكر أن يمثّلها هذا الشعر الذي يسمّونه الشعر الجاهلي ."[1] ويضيف قائلا : ". ... أدرسها [يعني الحياة الجاهلية ] في القرآن، وأدرسها في شعر هؤلاء الشعراء الذين عاصروا النبيّ وجادلوه ، وفي شعر الشعراء الآخرين الذين جاءوا بعده ، بل أدرسها في الشعر الأموي نفسه ."[2] وهو يلمح بهذا إلى القول بأنّ الشعر الجاهلي إنما نظم بعد الإسلام ، بل يقول في موضع آخر، بصريح العبارة : " إنّ الكثرة المطلقة، ممّا نسميه أدبا جاهليّا، ليست من الجاهلية في شيء ، وإنّما هي منحولة بعد ظهور الإسلام ، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم ، أكثر ممّا تمثل حياة الجاهليين ."[3] ثم يضيف قَائلا : " وإنّ هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس ، أو إلى الأعشى ، أو

---

[1]- في الشعر الجاهلي : طه حسين ، تقديم عبد المنعم تليمة ، رؤية للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط 1 - 2007 م ، ص 78.

[2]- المصدر نفسه : ص 79.

[3]- في الأدب الجاهلي : طه حسين ،ص 71.

إلى غيرهما من الشعراء الجاهليين ، لا يمكن - من الوجهة اللغوية والفنية - أن يكون لهؤلاء الشعراء ، ولا يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر القرآن ."[1]

وإذا تجاوزنا موقف طه حسين من قضية الشعر الجاهلي ، فإنّه لا أحد ينكر أنّ طه حسين من كبار أدباء العرب بفكره وأسلوبه المميز في الكتابة ، وسعيه الدائب إلى التأصيل والتجديد والانفتاح على الآخر ، وإن كان نصيب التأصيل عنده أقل بكثير من نصيب الانفتاح الذي دعا إليه ، وكرس حياته لتحقيقه ، وهو انفتاح أشبه بالتغريب منه بالانفتاح .

[1]- في الأدب الجاهلي : طه حسين ،ص 73.

# الخاتمة

إنّ فكرة المفاضلة بين الشعراء ، وتصنيفهم في طبقات يفضل بعضها بعضا وفق معايير محددة ، ترجع أصولها إلى علم الحديث، حيث عمد العلماء إلى تصنيف رواة الحديث الشريف في طبقات ، وتعقبوا رجاله بالجرح والتعديل ، والنظر في أسانيدهم ، وفق معايير علمية في منتهى الدقّة ، لمعرفة أحوالهم ، وكل الملابسات المحيطة بهم . وإذا كان ابن سلاّم نفسه راوية للأدب والحديث ، فلا عجب أن يتأثر بعلماء الحديث ، ويعتمد منهجهم ، فيطبقه في مجال الأدب والنقد .

لقد تعقّبت آلية معالجة هذه الظاهرة في تصور ابن سلاّم ، للوقوف على طبيعة تفكيره النقدي ، بوصفه أقدم ناقد عربيّ ، أفرد النقد الأدبيّ بكتاب مستقلّ ، هو "طبقات فحول الشعراء "، وجمع فيه شتات الآراء النقدية لسابقيه ومعاصريه ، معتمدا في ذلك ، منهجا علميّا مميّزا ، يقوم على كشف النقاب عن الظاهرة النقدية، ثمّ تعليلها ، وذكر الأسباب والملابسات التي ساعدت على ظهورها . واعتمد ابن سلام في كل ذلك ، مقاييس محددة لقياس جودة الشعر، اهتدى على أساسها إلى الشاعر المتفوق على نظرائه ، من حيث غزارة الإنتاج الشعري وجودته ، وطول النفس الشعري ، والتنويع في العروض، والقدرة على التصرف في مختلف أغراض الشعر، وفي هذه النقطة ، تمّ البحث في تحديد هذه المقاييس، للكشف عن مدى الموضوعيّة في النقد لدى ابن سلاّم ، للخلوص إلى جملة نتائج، أهمّها :

○ - إنّه ليس صحيحا ما يشاع من أنّ المقاييس التي اعتمدها ابن سلاّم ، في تصنيف الشعراء ، الذين اختارهم عينة لدراسته ، ليس صحيحا أنّها مفروضة على النص الشعري من الخارج ، بحيث إنّها تحدّد سلفا ، للنص الشعري حقولا، يستمدّ منها الشاعر عناصر قصيدته ، لتأتي متناسبة مع المواصفات الجاهزة عروضيا، وبيانيّا ، وتركيبا ، بل إنّ المواصفات والمقاييس التي اعتمدها ابن سلاّم لتصنيف الشعراء في طبقات، إنّما هي نابعة من داخل النص الشعري، وثيقة الصلة به . فابن سلاّم لم يفرضها على النص الشعري فرضا ، وإنّما نظر في النصوص الشعرية ،

فهداه نظره إلى استخلاص هذه المواصفات والمقاييس من النصوص نفسها .

○ - إنّ فكرة الطبقات عند ابن سلاّم ، تعدّ تحوّلا مهمّا في النقد الأدبي عند العرب،إذ يرجع إليه الفضل في تحول النقد الأدبي من ممارسات ذوقية عامة، ومن أحكام ذاتية غير معللة ، إلى نظريات مخططة منظمة ، في مصنف خاص بهذا الغرض الجديد : النقد الأدبي الذي يضع الأحكام والضوابط والقواعد للجمالية ، ويضبط أصولها وفق منهج علميّ دقيق ، هو أقرب إلى المنهج التكاملي منه إلى أيّ منهج آخر ، إذ يضع في اعتباره كلا من التقسيم الزماني ، والتقسيم المكاني ، والتقسيم العرقي ، دون أن يغفل التقسيم الفني .

○ - إنّ قضية الوضع والانتحال في الشعر، قضية قديمة في النقد الأدبيّ ، وهي ليست وقفا على الأدب العربي، وإنّما هي معروفة في الآداب العالميّة أيضا . ولا يرجع فضل ابن سلاّم في هذه القضية ، إلى أنّه كان رائدا في إثارتها ، إذ سبقه إلى الخوض فيها العديد من العلماء وإنّما يرجع إليه الفضل ، في هذه القضية تحديدا، في طريقة التناول ، حيث كان أكثر تنظيما وتفصيلا في منهجه العلمي المتميز في بحث هذه المسألة من جميع جوانبها ، فتعقب مواضعها ، وتقصّى أسبابها ، ودحض الشعر المصنوع بأدلّة نقلية وعقلية ، فانتهى إلى نتائج مؤدّاها أنّ الشعر العربي ، في الجاهلية وصدر الإسلام ، لا يصحّ بحال من الأحوال، أن نسلّم بصحته كلّه .

وبالمقابل، لا يصحّ أن ننظر إليه على أنّه كله موضوع أو منتحل . ويؤيّد هذه النتيجة العديد من ثقات العلماء ، المشهود لهم بطول الباع في مجال اللغة والأدب والنقد ، الذين عمدوا إلى فحص الأشعار وتمحيصها ، وردّوا موضوعها وشهدوا بصحة صحيحها .

ولا عبرة بقول بعض المستشرقين ، ومن تبعهم من الباحثين العرب : إنّ الشعر العربيّ في الجاهليّة لا يمثل حياة الجاهليين ، وهو كلّه موضوع بعد الإسلام ،

لأنّ في هذا الرأي ما فيه من الشطط ، ويحمل في ثناياه خلفيات، أقلّ ما توصف به، أنها بعيدة عن البحث العلمي النزيه . ومن ثمّ ، فهو موضع رفض تام من قبل الباحثين المنصفين ، من عرب ومستشرقين .

○ - تعكس لنا فكرة الطبقات ، عند ابن سلاّم ، صورة واضحة المعالم ، عن مدى تطور النقد الأدبي عند العرب ، بدءا من مراحله المبكرة ، وانتهاء ببلوغه درجة النضج ، ومن ثمّ ، فهي تتضمّن قيمة نقدية وتاريخية هامة ، تكمن في حفظ العديد من الأحكام النقدية المتداولة آنذاك .

والحمد لله أوّلا وآخرا . آمل أن أكون قد وفّقت إلى بلوغ بعض الغاية .

# الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرس الأشعار .
- المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

# فهرس الآيات القرآنية الكريمة


| الآيات القرآنية الكريمة | السورة | ص |
|---|---|---|
| ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ ..... | نوح | 67 |
| ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ..... | الأنعام | 94 |
| ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ ..... | الحاقة | 94 |
| ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ ..... | الانشقاق | 67 |
| ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ ..﴿٣﴾ ﴾ ..... | الملك | 67 |
| ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ ..... | النجم | 94 |
| ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ... .أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ ..... | الشعراء | 22 |
| ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ ..... | الفرقان | 94 |
| ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ..... ﴿٢٧﴾ ﴾ ..... | الأنعام | 124 |
| ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ ..... | يس | 23 |
| ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ ..... | الحاقة | 23 |

| | |
|---|---|
| « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَاعِرُ ، كَلِمَةُ لَبِيد ... » | 27 |
| « أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى ... » | 68 |
| « أُمَّتِي عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ : فَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، أَهْلُ بِرٍّ وَتَقْوَى ... » | 69 |
| « إِنَّ رُوحَ القُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا كَافَحْتَ عَنِ اللّهِ... » | 28 |
| « إِنَّمَا الشِّعْرُ كَلاَمٌ مُؤَلَّفٌ ، فَمَا وَافَقَ الحَقَّ مِنْهُ ، فَهُوَ حَسَنٌ... » | 28 |
| « .. أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَرَّمَ سَبْعَةَ أَشْيَاءَ : مِنْهُنَّ النَّوْحُ والشِّعْرُ. » | 24 |
| « إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ سَجْعٌ مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ ، بِهِ يُعْطَى السَّائِلُ ... » | 28 |
| « جَالَسْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَكْثَرَ مِنْ مائَةِ مَرَّةٍ ... » | 27 |
| «جَلَسَ إِحْدَى عَشرَةَ اِمْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ ، وَتَعَاقَدْنَ ... » | 69 |
| «خُذُوا الشَّيْطَانَ ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ ... » | 24 |
| «الشِّعْرُ فِيهِ كَلاَمٌ حَسَنٌ وَقَبِيحٌ ، فَخُذِ الحَسَنَ ، وَاتْرُكِ القَبِيحَ ... » | 28 |
| « صنع بعض عمومتي للنبيّ ، صلّى الله عليه وسلم ، طعاما ..... » | 100 |
| « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي ، وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ... » | 68 |
| « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ ؟... » | 69 |
| «كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَتَهَادَيْنَ الجَرَادَ عَلى الأَطْبَاقِ... » | 69 |
| « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا ... » | 24 |
| « لَوْ سَمِعْتُ شِعْرَهَا ، قَبْلَ قَتْلِهِ ، لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ ... » | 26 |
| « هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ ؟ ..... » | 27 |
| « فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَكَعَ وَطَبَّقَ يَدَيْهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ ..... » | 68 |

| الروي | شطر البيت | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ء | - آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسمَاءُ . . . . . .الثَّوَاءُ | الحارث بن حلّزة | 120 |
| ب | أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِّرَادِ المَذَاهِبِ ، . . . . . مَوْقِفِ رَاكِبِ ؟ | قيس بن الخطيم | 16 |
| | - أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهُمْ . . . . . قَارِبُ | نُصيب | 35 |
| | - حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً. . . . . مَذْهَبُ | بدون نسبة لقائل | 31 |
| | - أَقْفَرَ ،مِنْ أَهْلِهِ ،مَلْحُوبُ. . . . . فَالذَّنُوبُ | عبيد بن الأبرص | 105 |
| | - طَحَا بِكَ قَلْبٌ ، فِي الحِسَانِ ، طَرُوبُ. . . مَشِيبُ | علقمة الفحل | 19 |
| | - وَهَلْ أَرْفَعَنَّ الطَّرْفَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى. . . خَصِيبُ | ابن الأعرابي | 118 |
| | - خَلِيلَيَّ ، مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ . . . . . المُعَذَّبِ | امرؤ القيس | 103 /20 |
| | - فَلِلسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ، وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ . . . . . مِنْعَبِ | امرؤ القيس | 103 / 20 |
| | - ذَهَبْتَ ، مِنَ الهِجْرَانِ ، فِي غَيْرِ مَذْهَبِ . . . التَّجَنُّبِ | علقمة الفحل | 103 /20 |
| | - فَأَدْرَكَهُ حتَّى ثَنَى مِنْ عِنَانِهِ ، . . . . . مُتَحَلِّبِ | علقمة الفحل | 103 /20 |
| | - كِلِينِي لِهَمٍّ ، يَا أُمَيْمَةُ ، نَاصِبٍ ، . . . . الكَوَاكِبِ | النابغة الذبياني | 19 |
| | - وَرَكْبٍ ،كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمُ . . . . . لِلعَصَائِبِ | بدون نسبة لقائل | 35 |
| | - إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ، . . . . . غِضَابَا | جرير | 111 |
| | - فَغُضَّ الطَّرْفَ ، إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ. . . . . كِلاَبَا | جرير | 111 |
| | - وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ. . . . . العِتابُ | امرؤ القيس | 125 |
| ت | - إِنَّ الرَّزِيَّةَ ، لاَ رَزِيَّةَ مِثْلُها ، . . . . . أَضَلَّتِ | زهير بن أبي سلمى | 132 |
| ج | - يَا أَيُّهَا المُزْمِعُ ، ثُمَّ اِنْثَنَى ، . . . . . الشَّاحِجُ | الحارث بن حلّزة | 133 |
| ح | - أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ، . . . . . رَاحِ | جرير | 111 |
| | - وَخَدِينِ لَذَّاتٍ ، مُعَلِّلِ صَاحِبٍ ، . . . . . مُزَاحَا | أبو نواس | 45 |
| د | - وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً ، . . . . . العَبِيدُ | الفرزدق | 35 |
| | - هَلاَّ فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُهُمْ . . . . . وَادِ | عوف بن عطية | 133 |
| | - نَامَ الخَلِيُّ ، وَمَا أُحِسُّ رُقَادي ، . . . . . وِسَادِي | الأسود بن يعفر | 107/ 80 |
| | - وَعَكُّ بْنُ عَدْنَانَ الذِينَ تَلَعَّبُوا . . . . . مُطْرَدِ | عبّاس بن مرداس | 95 |
| | - تُحِبُّكُمُ نَفْسِي ، حَيَاتِي ، فَإِنْ أَمُتْ ، . . . . . بَعْدِي | عبد الملك بن مروان | 34 |

| الروي | شطر البيت | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|
| د | - تُحِبُّكُمُ نَفْسِي ، حَيَاتِي ، فَإِنْ أَمُتْ ، ..... بَعْدِي | الأقيشر | 34 |
| | - أَهِيمُ ، بِدَعْدٍ ، مَا حَيِيْتُ ، فَإِنْ أَمُتْ ، ... بَعْدِي | نصيب | 34 |
| | -لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ، ..... الغَدِ | طرفة بن العبد | 120 |
| | -أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِي ..... مُزَوَّدِ | النابغة الذبياني | 127 |
| | -حَتّى تَرى البَازِلَ مِنْهَا ، الأَكْبَدَا ..... يَدَا | بدون نسبة لقائل | 66 |
| ر | -مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ ، بِذِي مَرَخٍ ، ..... شَجَرُ | الحطيئة | 32 |
| | -أَلاَ بَانَ الخَلِيطُ ، وَلَمْ يُزَارُوا ..... مُسْتَعَارُ | بشر بن أبي خازم | 102 |
| | - فَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ ، ..... وَانْحِدَارُ | الأفوه الأزدي | 66 |
| | - وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ..... نَارُ | الخنساء | 16 |
| | - وَطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ ، لَمَّا عَلَوْنَهُ ، ..... جَازِرِ | الراعي النميري | 66 |
| | - مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنَا ..... مَنْثُورِ | الفرزدق | 123 |
| | - دِيمَةٌ هَطْلاَءٌ ، فِيهَا وَطَف ، ..... وَتَدُرُّ | امرؤ القيس | 65 |
| | - لاَ وَأَبِيكِ ، اِبْنَةَ العَامِرِيِّ ..... أَفِرُّ | امرؤ القيس | 133 |
| | - أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو، كَأَنِّي خَمِرْ ..... يَأْتَمِرْ | ربيعة بن جشم | 134 |
| س | - وَدَارِ نَدَامَى ، عَطَّلُوها وَأَدْلَجُوا ..... وَدَارِسُ | أبو نواس | 46 |
| | - قَالُوا : نَرَاكَ تُطِيلُ الصَّمتَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ ... خَرَسِ | الفضل بن الحباب | 60 |
| ض | - وَلَيْسَ المَرْءُ فِي شَيْءٍ ، ..... النَّقْضِ | ذو الإصبع العدواني | 133 |
| ع | - أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ..... يَجْزَعُ | أبو ذؤيب الهذليّ | 49 |
| | - بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا ..... اِتَّسَعْ | سويد بن أبي كاهل | 120 |
| | - فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الذي هَوَ مُدْرِكِي ..... وَاسِعُ | النابغة الذبياني | 31 |
| | - أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ ، سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا ..... رَوَاجِعُ | ذو الرمة | 103 |
| | - فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ ..... نَاقِعُ | النابغة الذبياني | 125/122 |

| الروي | شطر البيت | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ف | - وَعَضُّ زَمَانٍ ، يَا بْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ .... مُجَرَّفُ | الفرزدق | 123 |
| ق | - تُنَقَّلُ مِنْ صَالبٍ إِلَى رَحِمٍ ..... طَبَق | العباس بن عبد المطلب | 67 |
| | - يَا رَاكِبًا ، إِنَّ الأُثَيْلَ مَظَنَّةٌ ..... مُوَفَّقُ | قتيلة بنت الحارث | 26 |
| | - أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اِسْتَقَلُّوا ..... فَرِيقُ | المفضل بن معشر | 119 |
| | - إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ ..... ذَاقَا | المتنبي | 14 |
| | - وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُهُ ..... حُمُقًا | حسان بن ثابت | 29 |
| ل | - وَآمِرَةٍ بِالبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اِقْصِرِي ..... سَبِيلُ | إسحاق الموصلي | 62 |
| | - سَمَوْتُ إِلَيْهَا ، بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا ..... حَالِ | امرؤ القيس | 130 |
| | - قَالُوا : نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ ،فَقُلْتُ لَهُمْ ..... أَشْبَالِي | جرير | 112 |
| | - جَرى نَاصِحٌ بِالوُدِّ ، بَيْنِي وَبَيْنَهَا ..... قَتْلِي | ابن أبي ربيعة | 36 |
| | - فَقُمْنَ ، وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللُّبِّ أَنَّمَا ..... أَجْلِي | ابن أبي ربيعة | 36 |
| | - وَأَهْلُ السَّمَاحَةِ ، فِي المُطْبِقَاتِ ..... المَحْفِلِ | الكميت | 67 |
| | - أَ سَأَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ ، أَمْ لَمْ تَسْأَلِ ..... فَحَوْمَلِ | حسان بن ثابت | 19 |
| | - لَقَدْ فَرِحَ الوَاشُونَ ، أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي ..... البُخْلِ | ابن أبي ربيعة | 36 |
| | - دَخَلْتُ ، وَقَدْ أَلْقَتْ لِنَوْمٍ ، ثِيَابَهَا ..... المُنَفَضِّلِ | امرؤ القيس | 130 |
| | - يُرَادُ عَلَى فَأْسِ اللِّجَامِ كَأَنَّمَا ..... مُجَدَّلِ | طفيل | 101 |
| | - وَمِثْلِكِ حُبْلَى ، قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ ..... مُحْوِلِ | امرؤ القيس | 130 |
| م | - لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ ، فِي الضُّحَى ..... دَمَا | حسان بن ثابت | 19 |
| | - إِذَا كَانَتِ الأَحْرَارُ أَصْلِي وَمَنْصِبِي ..... خَازِمِ | إسحاق الموصلي | 62 |
| | - ثَلاَثٌ وَاثْنَتَانِ ، فَهُنَّ خَمْسٌ ..... الشَّمَامِ | الفرزدق | 125 |
| | - أَرَى إِبِلِي تَكَالَأُ رَاعِيَاهَا ..... النُّجُومِ | الراعي النميري | 66 |
| | - طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا ..... بِسَلاَمِ | جرير | 38 |
| | - يَا دَارَ عَبْلَةَ ، بِالجِوَاءِ ، تَكَلَّمِي ..... وَاسْلَمِي | عنترة بن شداد | 134/120 |
| | - هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ..... تَوَهُّمِ | عنترة بن شداد | 134 |

| الروي | شطر البيت | القائل | الصفحة |
|---|---|---|---|
| م | - وَإِنِّي لَأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ اِحْتِضَارِهِ ..... مكْدَمِ | المسيب بن علس | 19 |
| | - وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ اِمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ..... ... .تُعْلَمِ | زهير بن أَبي سلمى | 29 |
| | - هُمُ البِيضُ أَقْدَامَا ، وَدِيبَاجُ أَوْجُهٍ ..... ..الأَشَائِمِ | ابن الأعرابي | 117 |
| ن | - أَتَيْتُكَ عَارِيًا ، خَلَقًا ثِيَابِي ..... .. الظُّنُونُ | النابغة الذبياني | 31 |
| | بَاتَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً ..... ...سَبْعِينِ | لبيد بن ربيعة | 138 |
| | إِنَّ العُيُونَ التِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ..... .... قَتْلاَنَا | جرير | 111 |
| | أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ..... الأُنْدَرِينَا | عمرو بن كلثوم | 120 |
| | إِنَّ أَوْلاَدَ السَّرَارِي ..... . فِينَا | بدون نسبة لقائل | 43 |
| | اِسْتَقْبَلَ المُلْكَ إِمَامُ الهُدى .....وَثَلاَثِينَا | فضل الشاعرة | 44 |
| هـ | إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلُهْ ، ..... إِبِلُهْ | الأعشى | 139 |
| | لَعَلَّكَ إِمَّا أُمُّ عَمْرٍو تَبَدَّلَتْ ..... ... تَسْتَخِيرُهَا | أَبو ذؤيب الهذليّ | 126 |
| | لَقَدْ خَطَّ رُومِيٌّ ، وَلاَ زَعَمَاتِهِ .....مَفَاصِلُهْ | ذو الرمة | 66 |
| | فَإِنْ صَدَقُوا قَالُوا : جَوَادٌ مُجَرَّبٌ .....ضَلِيعُهَا | الجعدي | 114 |
| | فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا ، وَظَلَّ يَحُوطُهَا ، ..... دَنَا لَهَا | امرؤ القيس | 130 |
| | مُعَتَّقَةٌ ، مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ ، كَأَنَّمَا .....فَأَدَارَهَا | ديك الجن | 45 |
| | مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً ، يَمُتْ هَرَمًا .....ذَائِقُهَا | ابن أبي الصلت | 134 |
| | هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً .....كَاسِرُهْ | الفرزدق | 130 |
| | - يَمُوتُ رَدِيُّ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ. .. .....قَائِلُه | دعبل الخزعي | 108 |
| ي | لَوْ كَانَ عَبْدُ اللّهِ مَوْلَى ، هَجَوْتُهُ .....مَوَالِيَا | الفرزدق | 123 |

# المصادر والمراجع

( أ )

## ○ - المصادر والمراجع العربية :

**1- القرآن الكريم .**

**2-ابن سلام وطبقات الشعراء :** د . منير سلطان ، منشأة المعارف بالإسكندرية .

**3-أحاديث الشعر :** الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي ، تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط 1- 1989 م .

**4-أخبار النحويين البصريين :** القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعةمصطفى البابي الحلبي ، ط1- 1955 م .

**5- أساس البلاغة :** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1998 م .

**6-الاستشراق والمستشرقون :** د . مصطفى السباعي ، دار الوراق للنشر والتوزيع .

**7- إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين :** عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط1- 1986 م .

**8 - أصول الشعر العربي :** ديفيد صمويل مرجليوث ، ترجمة د . إبراهيم عوض ، دار الفردوس ، ط 2006 م .

**9-أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 10- 1994م .**

**10- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :** مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ،

بيروت ، لبنان ، ط 2005 م .

**11- الأعلام :** خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط15- 2002 م .

**12- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ :** الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق المستشرق فرانز روزنثال ، ترجمة التحقيق د . صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1986 م .

**13- الأغاني :** أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق د . إحسان عباس / د . إبراهيم السعافين / أ . بكر عباس ، دار صادر - بيروت ، ط 3 - 2008 م .

**14- أمالي الزجاج :** أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاج ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط 2 - 1987 م .

**15- أمالي المرتضى :** الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط 1954 م .

**16- إنباه الرواة على أنباه النحاة :** الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي- القاهرة ، ط 1- 1986 م .

( ب )

**17- البداية والنهاية :** الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط 1 - 1997 م .

**18- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :** الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط 1- 1965 م .

**19- البيان والتبيين :** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 7 - 1998 م .

( ت )

**20-تاريخ آداب اللغة العربية :** جرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة-بيروت ، ط2- 1978م .

**21- تاريخ الخلفاء :** الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( 849-911 هـ ) ،مطبوعات الأوقاف والشؤون الإسلامية،دولة قطر ، ط2- 2013 م .

**22 - تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك ) :** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط 2 .

**23- تاريخ العرب :** د . فيليب حتي ، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 4 - 1965 م .

**24- تاريخ مدينة السلام ( وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها ) :** الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1- 2001 م .

**25- تاريخ النقد الأدبي عند العرب :** د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 3 - 1974 م .

**26-تاريخ النقد الأدبي عند العرب (منالعصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ) :** المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم ، هيئة الفيصلية - مكة المكرمة ، ط 2004 م مزيدةومنقحة .

**27- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ( نقد الشعر من من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ) :** د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

28- **تحت راية القرآن ( المعركة بين القديم والجديد ) :** مصطفى صادق الرافعي ، راجعه واعتنى به درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط 1 - 2002 م .

29- **التراث النقدي ( نصوص ودراسة ) :** د . رجاء عيد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط 1990 م .

30- **تفسير القرآن العظيم :** الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

31- **التفكير النقدي عند العرب :** د. عيسى علي العاكوب ، دار الفكر ، دمشق - سورية ، ط 1 - 1997 م .

( ج )

32- **الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان :** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 - 2006 م .

33- **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام :** أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

34- **جمهورية أفلاطون :** د . أميرة حلمي مطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1994 م .

( ح )

35- **حول الأدب الجاهلي وقضاياه :** أ . د . شفيق عبد الرازق أبو سعدة ، الجريسي للكمبيوتر- الطباعة- التصوير .

36- **الحيوان** : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط 2 - 1965 م .

( خ )

37- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** : عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 4 - 1997 م .

( د )

38- **دائرة معارف القرن العشرين** : محمد فريد وجدي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 3 - 1971 م .

39- **ديوان أبي الطيب المتنبي** : تحقيق د . عبد المنعم خفاجي/ سعيد جودة السحار / د . عبد العزيز شرف ، مكتبة مصر ، الفجالة .

40- **ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ** : تحقيق إيفالد فاغنر وغريغور شيلر ، النشرات الإسلامية ، ط 1988م .

41 - **ديوان الأفوه الأودي** : تحقيق د . محمد التونجي ، دار صادر - بيروت ، ط 1 - 1998 م .

42- **ديوان امرئ القيس** : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 4 .

43- **ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي** : قدم له وشرحه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط 1- 1994 م .

44- **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري** : تحقيق عبد الله سندة ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط 1- 2006 م .

45- **ديوان ذي الرمة** : قدم له وشرحه أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1995 م .

**46-ديوان الراعي النميري** : تحقيق راينهرتفائبرت ، دار النشر فرانتسشتاينربفيسبادن ط 1980 م .

( ز )

**47- زهر الآداب وثمر الألباب** : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، شرح ألفاظه د . زكي مبارك ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ، ط 3 - 1953 م .

( س )

**48- سنن ابن ماجة** : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة ، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط 2- 2015 م .

**49 -سنن الترمذي** : الإمام الحافظ ابن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة ، دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط 2- 2015 م .

**50- سنن الدارقُطني** : الإمام علي بن عمر الدارقطني (306- 385 هـ ) ،دار ابن حزم ، ط1- 2011 م .

**51- سير أعلام النبلاء** : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق شعيب نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 - 1982 م .

**52- سيرة النبي ، صلى الله عليه وسلم** : أبو محمد عبد الملك بن هشام ، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

( ش )

**53- الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا** : د . أحمد عتمان ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت ، العدد 77 ، مايو 1984 م .

54- **الشعر والشعراء** : ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف .

55- **شمس العرب تسطع على الغرب** :زيغريدهونكه ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل - بيروت ، ط 8 - 1993 م .

( ص )

56- **صحيح البخاري** :محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ،الجعفي البخاري، تحقيق صبري ابن أبي علفة ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ط3- 2015 م .

57-**صحيح مسلم** : الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النّيسابوريّ ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 2 - 2000 م .

58- **صفة الصفوة** : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي( 510- 597 هـ ) ، تحقيق أحمد بن علي ، دار الحديث - القاهرة ، ط 2009 م .

( ض )

59- **ضحى الإسلام** : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط 10 .

( ط )

60- **طبقات الشافعية الكبرى** : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي السُّبكي ، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ( د . ت ) .

61- **طبقات فحول الشعراء** : محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة .

62- **طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب ( حتى نهاية اللقرن الثالث الهجري )** : د . جهاد المجالي ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1998 م .

63- **طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي** :د . مصطفى مندور ،مهرجان القراءة للجميع 95 .

64- **طبقات الشعراء** : محمد بن سلام الجمحي ،تحقيق يوسف هِلْ ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، ط 1916 م .

65- **طبقات النحويين واللغويين** : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 2 .

( ع )

66- **العصر العباسي الأول** : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط 8 .

67- **العقد الفريد** : الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ( ت 328 هـ ) ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط2- 1953 م

68-**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق د . عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ط 2004 م

69- **عيار الشعر** : أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق د . عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض ، ط 1985 م .

70- **عيون الأخبار** : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

( ف )

71- **فحولة الشعراء** : الأصمعي ، تحقيق المستشرق تورّي ، تقديم د . صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ط 2 - 1980 م .

72- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، دار صادر - بيروت .

73- **الفهرست** : محمد بن إسحاق النديم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، ط 1- 2006 م .

74- **في الأدب الجاهلي** : د . طه حسين ، القاهرة ، ط3 - 1933 م .

75- **في الشعر الجاهلي** : طه حسين ، تقديم عبد المنعم تليمة ، رؤية للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، ط 1 - 2007 م .

76- **في فلسفة النقد :** د . زكي نجيب محمود ، دار الشروق ، ط 2 - 1983 م .

( ق )

77- **القاموس المحيط :**الفيروزاباذي ،دار الفكر ، ط 3 .

78- **قراءة في النقد القديم :** د . بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط 1 - 2010 م .

( ك )

79- **الكامل في اللغة والأدب:** أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3- 1972م .

80 - **كتاب الصناعتين ( الكتابة والشعر ) :** أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، مطبعة محمود بك - الأستانة العلية .

81- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم :** الباحث العلامة محمد علي التهانوي ، تحقيقد . علي دحروج / د . عبد الله الخالدي / د . زيناتي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1- 1996 م .

82- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 - 1977 م .

83- **الكليات ( معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ) :** أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2- 1998م.

(ل)

84- **لسان العرب :** الإمام العلاّمة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر- بيروت .

85- **لسان الميزان :** الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، اعتنى به الشيخ العلامةعبد الفتاح أبو غدة ،دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 200 م .

( م )

**86- مجمع الأمثال :** أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف ، بالميداني ، المعاونية الثقافية للأستانةالرضوية المقدسة ، ط 1344 هـ .

**87- المخصص :** أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيدة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

**88- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان :** الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 - 1997 م .

**89- مراتب النحويين :** أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، ط 2009 م .

**90- مروج الذهب:** الإمام أبو الحسن بن علي المسعودي ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط 1 - 2005 م

**91- المزهر في علوم اللغة وأنواعها :** العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار التراث- القاهرة ، ط 3 .

**92- معجم الأدباء ( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ) :** ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1- 1993 م .

**93-المعجم الفلسفي :** د . جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني- بيروت ، ط 1982 م.

**94- معجم مصطلحات النقد العربي القديم :** د . أحمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط 1 - 2001 م .

**95-المعجم الوسيط :** مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية،ط 4- 2004 م

**96- مقدمة ابن خلدون :** العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .

**97- المنتقى من أخبار الأصمعي :** الإمام ضياء الدين المقدسي ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي- دمشق ،ط 1- 1354 هـ .

**98- منهج الفن الإسلامي :** محمد قطب ، دار الشروق ، ط 6 - 1983 م .

**99- الموازنة بين الشعراء :** زكي مبارك ، دار الجيل ، ط 1 - 1993 م .

**100-** الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 1 - 1995 م

( ن )

**101- نزهة الألباءفي طبقات الأدباء :** أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي - القاهرة ،ط 1998 م .

**102- نظريات الشعر عند العرب ( الجاهلية والعصور الإسلامية ) :** د . مصطفى الجوزو ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 2 - 1988 م .

**103 - نقائض جرير والفرزدق :** أبو عبيدة معمر بن المثنى ( ت 209 هـ ) ،وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1- 1998م .

**104-النقد الأدبي:** أحمد أمين ،دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، ط4 -1967م.

**105-** النقد الأدبي : كارلوني وفيللو ، ترجمة كيتي سالم ، مراجعة جورج سالم ، منشورات دار عويدات ، بيروت - باريس ، ط 2 - 1984 م.

**106- النقد الأدبي( أصوله ومناهجه) :** سيد قطب ، دار الشروق ، ط 6 - 1990 م

**107- نقد الشعر :** أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

**108- النقد في العصر الوسيط والمصطلح في طبقات ابن سلام :** د . حسن عبد الله شرف ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1- 1984

**109**- النقد المنهجي عند العرب : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2004 م .

(و)

**110- الوافي بالوفيات :** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ،ط1- 2000 م .

**111 - وجهة العالم الإسلامي :** أ . مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر- دمشق ، ط 2 - 2002 م .

**112- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د . إحسان عباس،دار صادر- بيروت ، ط 1977 م.

## ○- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

1-Arabian Medicine : G .Brown , Larose , 1933.

2-Essay On The Genius Writings Of Pope : Joseph Warton , London , J . Dodslay .

3-Modern Trends Of Islam : Hamilton Alexander Gibb , University Of Chicago Press , second edition 1947 .

4-La logique , ou les premiers développements de l'art de penser , E . B . De Condillac , Paris .

5-New Dictionary Of The History Of Ideas : Maryanne Cline Horowitz , Thomson Gale , London .

6 -The Evolution Of Modern Medicine Of Avicenna : William Osler , a series of Lectures delivered at Yale University in April , 1963 .

## - المجلات والدوريات :

1- مجلة الثقافة :العدد 8 ، فبراير / مارس 1990 م .

2- مجلة الكتاب : المجلد الثاني ، سنة 1953 م .

3- مجلة المورد : المجلد الثامن ، العدد 41 .

- دعاء .

- شكر وتقدير .

- مقدمـــة .

مدخل : الحراك النقدي قبل ابن سلام

أ - النقد الأدبيّ في العصر الجاهلي ..... 12

ب - النقد الأدبي في صدر الإسلام ..... 21

ج - النقد الأدبي في العصر الأموي ..... 32

الفصل الأول : محمد بن سلام الجمحي

1.1- لمحة عن عصر ابن سلاّم الجمحي ..... 40

2.1 - لمحة عن حياته ..... 53

3.1- نشاطه العلمي ..... 54

الفصل الثاني : كتاب طبقات ' فحول الشعراء '

1.2- الطبقات : المفهوم اللغوي والاصطلاحي ..... 65

2.2- العنوان وتفصيل القول فيه ..... 72

3.2- طبعات الكتاب ..... 76

4.2- تقييم الكتاب ..... 83

الفصل الثالث : المنهج النقدي لابن سلام في ' الطبقات '

3.1 - الخطة العامة لمحتوى الكتاب ..... 88

3.2 - خطوات المنهج وأسس التقسيم الطبقي ..... 91

3.3- المقاييس النقدية في الطبقات ..... 105

الفصل الرابع : اتجاه ابن سلام في النقد .

1.4 -النقد اللغوي ..... 122

2.4-النقد الفني ..... 127

3.4- النقد التوثيقي ..... 131

- الخاتمـة ..... 146

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ..... 150

- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... 151

- فهرس الأشعار ..... 152

- المصادر والمراجع ..... 157

- فهرس الموضوعات ..... 169

الملخص :

تتناول هذه الرسالة تصوّر ابن سلاّم لفكرة طبقات الشعراء ، وتصنيفهم في طبقات يفضل بعضها بعضا ، وفق معايير محددة بغية الوصول إلى طبيعة تفكيره النقدي ، بوصفه أقدم ناقد عربي أفرد النقد الأدبي بكتاب مستقل ، وجمع فيه شتات الآراء النقدية لسابقيه ومعاصريه ، وأعاد صياغتها وفق منهج علمي متميز .

وتخلص هذه الرسالة المتواضعة إلى نتيجة مفادها أنّ فكرة الطبقات ، عند ابن سلام ، تعدّ تحوّلا مهمّا في النقد الأدبي عند العرب ، إذ بفضله تحول النقد الأدبي من ممارسات ذاتية إلى نظرية علمية منظمة .

الكلمات المفتاحية : طبقات - شعراء - فحولة - انتحال - مفاضلة - تصنيف .

**Abstract:**

This thesis deals with MuhamadIbnSallâm al-Jumahî concept of classification of Arabic poets , with the aim of understanding the nature of his critical thought in his capacity as an ancient Arabic philologist who had gathered the points of view of his precedings and contemporaries reforming them within a distinguished scientific method and classifying poets in classes superior to each other by virtue of specified standards .

Finally, this humble study came to the fact that the question of classification of poets is deemed as a significant turning point in the history of Arabic literary criticism, thanks to MuhamadIbnSallâm al-Jumahî who had transformed Arabic criticism from just subjective practices to an organized scientific theory .

**Key words:** Classes – Poets - Laurels – Plagiarism - Preference – classification .

**Résumé :**

Cette thèse traite la conception du philologue arabe, Mohammed Ibn Sallâm al-Jumahî, conception concernant l'idée des classes des poètes, dans lesquelles il les rangea par ordre d'excellence suivant des critères bien précis. et nous voulons arriver , par ce modeste travail , à découvrir , au moins d'une façon générale , la nature de la pensée critique de ce grand philologue arabe dans la mesure où il se présente comme le plus ancien critique arabe qui a distingué la critique littéraire par un livre à part ,dans lequel il a rassemblé les points de vue critiques des anciens et de ses contemporains en les reformulant selon une méthode scientifique distincte .

Dans notre thèse nous essayons d'arriver à cette conséquence : l'idée des classes des poètes chez Ibn sallâm se considère comme une transformation précieuse dans la critique littéraire arabe, car grâce à ce tournant décisif celui-ci devient une conception théorique organisée, alors qu'elle était avant Ibn sallâm juste des simples pratiques subjectives.

**Mots clés :** Classes - poètes – étalons – plagiat – différentiel – classification.